صوت الراوي

هـذا هو عددنا السادس - عزيزي القارىء -، وهو عدد يحمل إضافات ورؤى جديدة، وتبتهج **الراوي** بكل الآراء المبدعة.

تشـير **الراوي** عبر غلافها أنها "دورية تعنى بالإبداع القصصـي فـي الجزيرة العربية" وهذا - دون ريب - هدفها الـذي تحـرص عـلى تأصيله، ليمتد صوت الإبداع من هذه الـزاوية الجغرافية إلى أرجاء الوطن العربي الكبير وخارجه. لكـنها فـي ذات الوقـت، أرادت أن تصنع تلاحماً مع الإبداع العربي حيثما يكون. ولذا، فإنها خصصت في هذا العدد إطلالة عـربية، تـتيح نشـر الإبـداع القصصي من خارج الجزيرة العربية.

تركـز **الراوي** عـلى الإبـداع، وقـد تم عبر بعض الصحف طرح قضية النقد، وتركت **الراوي** المجال المستقبلي مفـتوحاً للإضافة النقدية. وفي هذا العدد جاءت زاوية جديدة تحمـل عـنوان "نص ونقد". تتضمن الزاوية وقفة نقدية عند نـص قصصـي يتفق مع سياسة النشر في **الراوي**. وفي هذا الإطـار تشـكر **الراوي** الأستاذ الدكتور عبدالله إبراهيم الذي تواصـل مـع **الراوي** وخصها بهذه القراءة النقدية. وسنكون

سعداء بتلقي قراءات نقدية من نقادنا المتميزين، على أن يكون النص حديثاً، ولم يصدر ضمن مجموعة قصصية.

تواصل زاوية "إصدارات قصصية" نشر النماذج الحديثة للمجموعات القصصية من منطقة الجزيرة العربية، وتأمل أن يتواصل معها المبدعون بتزويد الراوي بأحدث إصداراتهم.

في العدد الماضي، خص المبدع عبدالعزيز مشري **الراوي** بنص جديد. لكن يشاء الله أن يغيب المشري قبل ظهور العدد. وفي نفس الفترة فقد الإبداع القصصي المبدع اليمني زيد مطيع دماج. لذا، فإن **الراوي** تشعر بحزن عميق وأسى كبير لرحيل مبدعين متميزين، كرسا حياتها للإبداع القصصي بنوعيه : الرواية والقصة القصيرة، وأثريا ساحة الإبداع في الجزيرة العربية والعالم العربي بالعديد من الأعمال. نعزي الذات والإبداع وأصدقاء المشري ودماج، ونسأل الله لهما المغفرة والرضوان.

أخيراً، نأمل أن يتواصل المبدعون مع **الراوي**، وذلك ببعث إبداعاتهم وآرائهم على عنوان الراوي، أو الاتصال المباشر عبر البريد الإلكتروني: alrawi98@hotmail.com. وتأمل **الراوي** من الإخوة أصحاب مواقع الإبداع القصصي في الجزيرة العربية تزويدها بمواقعهم لنشرها في عدد قادم.

نسأله تعالى للجميع العون والتوفيق.

جماعة الراوي

راوي العدد :

عبدالحميد أحمد

السيرة الذاتية:

- **الاســـم:** عبدالحميد أحمد
- **مكان وتاريخ الولادة:** دبي – الإمارات العربية المتحدة 1957 .
- **الوظيفة** : مدير تحرير جريدة البيان – دبي.
- بدأ في كتابة القصة القصيرة في منتصف السبعينات ونشر أول قصة له في مجلة (أخبار دبي) التي كانت تصدر آنذاك .
- عمل مديراً لتحرير مجلة الأزمنة العربية.
- عمل في جريدة الاتحاد.

- انتقل إلى جريدة البيان وتدرج فيها من رئيس للقسم الاقتصادي حتى مدير تحرير.
- عضو مؤسس في اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.
- تولى منصب رئيس مجلس الاتحاد عدة مرات.
- تولى منصب رئيس مجلس الاتحاد عدة مرات.
- أحد مؤسسي جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية وأميناً عاماً لمؤسستها منذ تأسيسها وحتى الآن.
- له زاوية يومية في جريدة البيان منذ سنوات بعنوان (مع الناس).
- صدرت له الكتب التالية :

– السباحة في عيني خليج يتوحش (قصص) 1982.

– البيدار (قصص) 1987.

– على حافة النهار (قصص) 1992.

– مع الناس (مجموعة مقالات صحفية ساخرة).

– النظام العالمي الضاحك (مجموعة مقالات صحفية ساخرة).

شهادات

1

الانطباع

ما له علاقة بزمنية ما مضى يمكن أن يستحضر من خلال الذاكرة التي تعتبر عملية عقلانية بحتة، غير أن الانطباع يتواصل بزمنية ما مضى من خلال حدث/ كلمة/ فعل/ شيء مادي يمكن أن يقفز إلى الدائرة ويفجر سلسلة طويلة من التداعيات. لذا فإن الانطباع الذي تتركه رائحة معينة أو مشهد معين يمكن أن يجر خلفه سلسلة طويلة من الذكريات التي ترتبط بزمنية ما مضى. والذاكرة بحد ذاتها يمكن أن تحتوي الانطباع، وتتوالد من خلاله وتتحول الذاكرة الأولى إلى انطباع في النهاية. فرؤية وردة مثلاً، قد يبعث ذكرى محددة، هذه الذكرى المحددة تتحول في النتيجة إلى انطباع حينما تترتب عليها ذكريات أخرى وهكذا، فإلى أي مدى تحولت الانطباعات المادية الحسية والروحية إلى أداة في الأعمال الفنية هنا؟!

تكتسب النخلة والبحر، بالإضافة إلى كونهما قيمتين رمزيتين مجالاً لرسم الانطباعات وتفجر الذاكرة عند عبدالحميد أحمد، ففي - قالت النخلة للبحر - يقول الكاتب "إن النخلة أخذت مني عهداً.. إلخ.." وفي عطش النخيل - "البيوت على جانبي الطريق تتخذ أشكالاً وألواناً تدل على ترف لم يكن يحلم به.. لمن هذه البيوت؟" وفي نفس القصة نجد أن الزنزانة تخوضه كانطباع يحدث تفجراً زمنياً للذاكرة.. في زنزانة التوقيف.. استلقى على ظهره وبصره متعلق بالسقف وتذكر أمه وأباه.. إلخ." وفي "السمكة" يقول: " حسن يا رشدان الوقت ينقضي والأعمال تتطلب الحضور الشخصي، هل لديك "شعري" اليوم.؟. إلخ..".

من هنا يتضح أن الانطباع عند عبدالحميد يشكل جزءاً من بنائية القصة، وهو موظف لإحداث حالة من تداعي الذاكرة وتفجيرها للتواصل مع الحديث المركزي في القصة وإلغاؤه يعني إلغاء جزء هـام من الحدث. وهذا الانطبـاع مبني بشكل شمولي في القصة، وموظف لرسم حالة من رثاء الحاضر. وهي في معظمها، أي الانطباعات، نتيجة للمواجهة بين الشخوص وبين حالة مادية قائمة.

* * *

ينطلق عبدالحميد من رؤيا سوسيولوجية في تشريح الواقع، وهذه الرؤيا تحاول قدر الإمكان اكتشاف كنه هذا الواقع من خلال تركيبته الشرائحية، الديموغرافية ليصل إلى غاية يريدها وهي التحفيز على تغيير هذا الواقع وضرورته، عندما يجد القارىء أن لحظة المستقبل والبحث عنها في كتابات عبدالحميد إنما تكمن في ضرورة فهم الواقع في محاولة لإعادة صياغته بعد تشخيص سلبياته. ومن هنا نكتشف أن المستقبل في نظره لا يمثل سوى الحلم على مستوى الشخوص: أما الحدث فهو مرتبط بروابط اجتماعية من خلال العلاقات القائمة متضمنة السياسة والاقتصاد والقانون والجنس... وغيرها... نجد ذلك واضحاً في – رجل من بنغش – رائحة العطش – أغنية بيضاء في ليل دامس... وغيرها.

رعد عبدالجليل جواد

2

اللوحة الشعبية

يمزج الكاتب عبدالحميد أحمد، في أغلب قصصه حركة السرد واللغة عند الراوية، أو الشخصيات، في الرجوع والانتقال بين ذاكرة الماضي والحاضر، ويتداخل الحوار، ووصف المشهد والأحداث في ذلك البناء كوحدة متماسكة، تنمو فيها الشخصية، وتتحرك، في إطار المكان والزمن، بطريقة دائرية، مفضلاً (عبدالحميد) تحطيم البناء التقليدي للقصة.

في قصة (طائر الغمري) – ("الغمري" ذلك الشخص الذي يهبط مدينة لا يعرفها ولا تعرفه، ولا يدرك شيئاً فيها) يختار اسماً دلالياً لشخصيته المحورية، في هذه القصة، إنه إنسان "غريب" وطائر غمري، هكذا جاء إلى الوجود، ورحل من الحياة، جاء بولادة صعبة، وغادر بموتة بشعة، وبطيئة، لا يموتها إلا "بشر الأحياء الفقيرة"، الذين تمزقهم وتنثرهم الحياة في ارجائها البائسة كالجرذان الميتة. منذ الوهلة الأولى يفجر الكاتب، انفعال قارئه بمشهد موت الشخصية، الذي يتم إنزاله في القبر، الحفرة،

التراب، الجثمان، الكفن، التعويذ، الحزن العميق من الموت والخوف من رهبته، ثم نتألم بسهولة العبارات "مات صغيراً" بن كنتوت، قال لنا ذلك، في جوقة المودعين موت "غريب المأساوي".

ونتخيل الراوية يعود بنا، من مكان المقبرة، إلى البيوت، فنحس بالطريق الرملي، ونشعر باتجاه البحر. أثناء ذلك يسترجع الراوية المؤلف، والمتعلم، في الحال علاقته بالشخصية الميتة، ماض ليس ببعيد، ممزوج بطفولة ذلك الحي الشعبي، الذي يرسمه الكاتب بمفارقاته وتناقضاته، ومتغيراته الاجتماعية، والاقتصادية. ويقوم الكاتب بتقطيع المونتاج، فلا نجد تسلسلاً زمنياً كالعادة، إنما صوراً وحوارات متنقلة تشبعت بأفكار وقضايا وظواهر لا تحصى حشدت في زحمة تلك القصة القصيرة، محاولة الإضاءة والإشارة لأمور تشكل هاجس الراوية/ المؤلف، الذي يفضل راغباً أن يقول لنا الكثير، عن لوحته الاجتماعية في حيهم الشعبي، هذا المجتمع الصغير، الذي تتراكم، وتلتقي فيه النسخة المشوهة، لصورة هي طبق الأصل، لكل الأحياء، بكل امتدادها، وتفاعلها مع المجتمع الكبير.

بدر عبدالملك

3

رصد التغير

يمثل موضوع التغير الذي مرت به منطقة الخليج منذ منتصف السبعينات أحد الموضوعات الأساسية التي يركز عليها عبدالحميد أحمد في عدد من قصصه. معالجة هذا الموضوع يأتي من خلال تسجيله هذا الواقع ضمن لقطات قصصية من الخارج، وأحياناً عبر الدخول إلى عالم الشخصية لرصد انعكاس هذا التغير عليها. وقدرة الكاتب على اختيار شخصياته وتحديد مسارها داخل القصة، يصل القارىء بشكل مباشر إلى مواقف محددة تصل إلى مستوى المكاشفة الاجتماعية، وتحديد أزمة هذا التحول المدني (لا الحضاري).

وحيث إن المجتمعات لا تبدو أنها تملك القدرة على استيعاب هذا التغير المفاجىء، فإن كثيراً من الأفراد لم يتمكنوا من التعايش معه. لقد نتج عن ذلك تخلخل داخل الذات الفردية التي لم تستوعب التغير ولم تفهمه كما حدث من "خلاله" الذي يتعامل مع وسيلة النقل بنفس المستوى سواء كانت حيواناً أو جماداً. والكاتب يتخذ من الأسلوب الساخر، وسيلة للتعبير عن هذا الواقع الذي يتسم حقيقة بكثير من السخرية! وينجح الكاتب في رسم الشخصية

المرتبطة بتراثها، لكنها تجد نفسها حزينة حين أرغمت على التخلي عنه.

إن البعد الإنساني ذو حضور قوي في الكثير من القصص التي تناولت موضوع التحول الاجتماعي. فالأفراد قد خسروا أنفسهم وتحولوا إلى حالة من الاندهاش وعدم الاتزان، نظير الأساليب والأنظمة التي نتجت عن هذا التحول. لقد أفرز الواقع نتائج غاية في الألم، كما حدث لشخصية "مريش"، الذي فقد عمله ومصدر رزقه الذي لا يحسن سواه، ثم فقد مع ذلك توازنه؛ مما جعله يضع نهايته بنفسه.

هذه النهاية المأساوية تتكرر في قصص أخرى. فقصة "حالة غروب" لا تعتمد على الحدث الواقعي، وإنما على الرؤية الذاتية من خلال المونولوج الداخلي الذي يقارن بين الماضي والحاضر، وحين لا تكون الشخصية قادرة على استيعاب التحول، تصل إلى حالة غروب فعلية، فيتم العثور على "مبارك" إلى جانب الشاطيء مفارقاً للحياة. من الأسباب التي تكشفها القصة أنه لم يعد لابن الأرض وجود، بل أصبح يعيش غربة نفسية ومكانية في ظل التمركز الأجنبي الكبير على أرض اعتاد "مبارك" أنها له وبني جنسه فقط. إن المعاناة تكبر حين يحظى الأجنبي بالتكريم ووقوف السلطة معه رغم أنه المخطيء، وابن

الأرض يكون نصيبه العقاب، كما حدث في قصة "عطش النخيل". وتفصح القصة من خلال السياق غير المباشر عن الأجنبي في مفهوم القصة التي يكتبها عبدالحميد أحمد. الأجنبي المشار إليه ليس عربياً ولا مسلماً.

وتناول قصص عبدالحميد أحمد للأجنبي يأخذ مسارين: الأول يتسم بالسلبية الحادة، وهذا يتجه إلى الأجنبي المهيمن المسيطر المتعالي، الممتص لخير الأرض. أما الأجنبي الوافد من أجل لقمة العيش، فإن قصص عبدالحميد أحمد تتعاطف معه كثيراً، من خلال تصوير معاناته، وكشف المفارقة بين ما تخيله قبل الوصول والواقع الذي يعيشه.

وأبطال العديد من قصص عبدالحميد أحمد كشأن أبطال الواقعية النقدية، لا يتسمون بالإيجابية، والتفاؤل، بل يخيم عليهم الحزن والكآبة، وكثيراً ما تنتهي الشخصية نهاية مأساوية، بالإنتحار أو الموت أو السجن. يأتي ذلك كله تعبيراً عن حالة اقتناع وموقف يتم اتخاذه، فالأبطال يتحركون داخل قصصهم بوعي كبير للواقع الاجتماعي الذي يعيشونه. ولاريب أن ذلك يعكس عمق الرؤية ووضوح الهدف لدى الكاتب فيما يبدع .

د. عبدالعزيز السبيل

حالة غروب*

(1)

يمتد جسد البحر مسجياً تحاصره جدران قوقعة عجوز، بعد أن كان يحتضن القواقع والمحار و... الأجساد. ها هو يذرف بعيداً عن شاطئه الرطوبة والعرق العالقين بجسمه ورائحة "الشبا" التي راحت تداعب أنف مبارك فتأخذه رعدة و... غيبوبة حلم.

(2)

رآه مليئاً بالقوارب والصيادين والشباك والصبية والأعراش وبالعيون التي تسكنها أحلام في مستقبل أبيض. ها هي "السنابيك" المقبلة تجاه الشاطىء والأعلام المرفرفة فوق البيـــوت وأهازيج النساء وصـــراخ الصغار العابث والعيون الولهة وإيقاعات الأمواج وهي تراقص دقات القلوب وتعود خيوطها إلى عقل مبارك لتنسج منها ذكرى وصورة للوطن الراحل في مرايا الزمن. مبارك الجالس فوق " الفنة" دامي اليدين، مشقق الرجلين، تحرق عينيه

* من مجموعة البيدار .

ملوحة البحر والرطوبة وهما تعانقان النخيل فوق البر وترحلان إلى الأرض المزروعة بعفراء والأهل والأحبة والأحلام، وكلما ازداد الشاطىء قرباً كلما ضجت عيناه حنيناً ولوعة.

(3)

حين زالت سحابة الغيبوبة وجد نفسه وحيداً و.. عاجزاً. وحيداً على الشاطىء المقفر إلا من طيور ترف بأجنحتها هنا وهناك، رجلاه ترتعشان فوق الرمال وآلام أسنانه المهترئة تشعل حريقاً في فمه. الشاطىء لم يكن مليئاً كما رآه منذ لحظات. كان خالياً موحشاً بارداً في علاقته معه. تصوره جثة إنسان نسي أهله أن يضعوه في اللحد، فتعفن وانتشرت رائحته إلى الأمداء. لكن عينيه الغائرتين راحتا تلاحقان خطوطاً سوداء من مخلفات السفن، ناقلات النفط، و"القار" وبقع الزيت القاتمة التي تشوه وجه الذكريات في قلبه. على مرمى البصر صدمه "النادي البحري" منتصباً كاشفاً عن سحنة قبيحة وعلى مقربة منه رأى أجساداً حمراء تستجدي الشمس لوناً زائفاً!

(4)

لم تكن هناك عفراء... لم تكن هناك أعراش... لم

يكن على الشاطىء إلا مبارك والوحدة والوحشة و... النسيان المدمر. ضجت عيناه دمعاً وصرخت أعماقه ألماً:

- "في القاع عظام أبي، وهناك ذرفت أمي دمعاً، وهنا مات أخي الصغير غرقاً، وهناك داهم الطلق أختي وهي تنتظر أوبة زوجها فقذفت بوليدها إلى داخل البحر لتشرب مسامه الملح غضاً... هنا فقط امتد حبله من الماضي إلى الحاضر.. هنا "قار" وبقع سوداء تلطخ جبين الأرض.. هنا جوع وموت".

(5)

والشمس تتساقط إلى الأفق أخذته نوبة بكاء. ريح الشمال زمجرت في الأفق معلنة بدء الهجوم، تذكر "عفراء" كان في شبابه يتبعها عند الغروب إلى مورد الماء، يراها أمامه بقوامها المعتدل تحمل فوق رأسها "الجحلة" ومن تحتها تتهمر جدائل شعر أسود. على البئر كان يساعدها في جذب الماء وملء "الجحلة" بينما يرتوي هو من غدير عينيها الصافي. وعندما يتمشيان إلى البيوت جنباً إلى جنب تنساب نسمات مليئة بالرؤى والأحلام فيما ترتعش أنفاسهما مع نسائم لافحة من هبوب القيظ و... الحب.

مضت الأحلام إلى غير رجعة ومضت "عفراء" في أردية الزمن الأهوج.

(6)

كان الوطن "عفراء" يذوب فيه مبارك حباً ويستميت لأجل الإبقاء عليه...

أمسك التراب يعصره، صار الوطن كميات من قهر يومي حين يبحث عن دراهم لأجل العيش وللإبقاء على، نقطة كرامة. صار وحيداً... وحيداً، الوجوه لم يعد يعرفها، ولم تعد الوجوه الجديدة تعرفه... صار شيئاً لا وجود له إلا في خفقات الذكرى.

(7)

حين يراه البعض ساهماً مختنقاً في صمته يلومه، يرد:

راعي الهوى مستأنس إلا الصدر محروق

كلة من البهانس الدوخة والنشوق.

يتضاحكون: "مبارك فقد عقله!".

ويغرق هو في صمته ويكثر من "الدوخة" و"النشوق" لكنه يعلم أن صدره محروق بالعذاب ويهوى "عفراء".

(8)

حين غابت الشمس ولف الغروب المدى كانت عيناه تحومان حول الأفق المشتعل، مسته رجفة بكاء وعندما لامست عينيه نسمة آتية من خلف البحر، صار يردد في ذهول:

- كأن شيئاً لم يكن.. كما بدأت تنتهي.

دفع بأنظاره إلى البحر. أدرك أن هذا الجسد الذي تعيث فيه السكينة والموت سوف يصحو يوماً، فاستبد به الإشتياق إلى معانقة "عفراء" الوطن الراكضة في الزمن الآتي.

استلقى على الرمل فيما أخذت ريح الشمال تعوي والغروب يسدل أستاره ببطء شديد.

في الصباح، كانت الشمس رائقة. وبينما كان هندي يتمشى على الشاطىء اصطدمت رجله بيد مبارك... جرى هلعاً يبلغ عن وجود جثة.

كان الرمل الناعم قد دفن جسده،! لكن يده امتدت من تحت التراب وخرجت إلى الفضاء وكأنها تطاول "عفراء" المطلق.

غواية*

لا يعرف منذ متى بدأ يحلم بالماء. كان يمشي في البداية مسرعاً إلى البحر. هكذا رآه الآخرون، وحين رأوه عقدت الدهشة ألسنتهم إذ فجأة سقطت إحدى يديه في الطريق. ولم يكترث لها. لم يتوقف لالتقاطها، ولا ليذرف دمعة عليها. تركها ومضى في طريقه مسرعاً، غير عابئ بنظراتهم، إذ إن المفاجأة نفسها داهمته قبلهم ثم تجاوزها. هكذا بدأت: انفصل اصبع من راحة اليد، ثم لحقه الثاني والثالث فالرابع فالخامس، مع كل خطوة، حتى تساقطت جميعها، وحين نظر إلى يده كانت بلا أصابع، لكن البحر كان أكثر إغراءً وسحراً وجاذبية، وها أنه الآن يحث خطاه مستبسلاً الوصول إليه، ثمة شيطان، أو قوة، أو إحساس قاتل يدفعه دفعاً إلى الماء، وها هو يلوح من بعيد لامعاً كالفضة، أو الأصداف، تحت شمس النهار الضاحكة، وها هي زرقته البهيجة توشح المدى، وتوقظ الطفولة الغابرة. ضاعف من سرعته، بخطوات أوسع،

---

* من مجموعة على حافة النهار .

وحين بدأت أصابع يده الأخرى في التساقط لم تجرفه المفاجأة: لتلحق الأخرى. كل شيء يتخلى ويغادره، لابأس! حدث نفسه، ومضى جذعاً فوق قدمين، ورأساً فوق جذع، أمامه جسد أزرق شاسع لا حدود لغوايته التي لا يعرف منذ متى بدأت، ولا يعرف مثيلاً أو شبيهاً لآلامها وعذاباتها الممتعة، ولمسراتها الفاجعة.. وبعد قليل، بعد خطوة أو خطوتين، رعشة أو رعشتين، سيجد الماء في انتظاره، يلجه من جديد، يتكور فيه، حيث الدفء والرطوبة اللذيذة، سمكة أخرى بين الأعشاب والقواقع والبياض الكلي، في هدوء وسكون نهائيين، وحيداً خارج الضوضاء والأصوات الأخرى. وفجأة أخرى، اختفت زرقة الماء وحمرة الشمس إذ سقط على وجهه متعفراً بالرمل، بعد أن تعثر بإحدى رجليه حال انفصالها عن جذعه وسقوطها أمامه. رفع رأسه... الجسد المتآكل، وشتم العيون الهازئة والهمسات الراثية والصخب القادم من كهوف الأفواه الأخرى. الماء لم يعد حلماً، ها هو يراه أمامه وعما قليل سيلمسه إلى الأبد، وإلى الأبد لترحل الأطراف جميعها، ليندثر الآخرون ولتحترق حقول المرارة في هجير الشمس، أو لتكتوي بنيران بؤسها وفجيعتها الأزلية، تلك الأجساد والأصوات والرؤوس

المدماة بالعذاب. الماء. الماء. منذ متى بدأ يحلم بالماء؟ ويعذبه الحنين إليه؟ وهكذا نهض على رجل وحيدة، حمل جسده، وكان وجهاً لوجه أمام البحر. ومثل عصفور كسير الجناح قفز في اتجاه الماء، قفزة، ثم قفزة أخرى، ثم قفزة، وقفزة أخرى، لكنه ارتطم مجدداً بالأرض إذ أصبح جذعاً ورأساً بلا أطراف، سمكة أو أفعى، لو أنه وصل الماء لسبح بعد أن تكون زعانف قد شبت فوق جذعه بدلاً من هذه الأطراف المتساقطة في الطريق. حدث نفسه، وهو يرفع رأسه المتعبة إلى السماء الزرقاء الصافية، هي زرقة البحر. البحر هنا! حدث نفسه. بعد لحظات سيكون حراً مثل سمكة، سيعوم إلى الأعماق البعيدة الدافئة المعشوشبة، عارياً من كل شيء من الليل والنهار، البحر هنا! حدث نفسه، جاء صوته إلى أذنيه كترنيمة خرافية انبعثت منذ زمان ضارب في القدم، أمواجه تصطخب بلا نهاية، موجة موجة، رعشة رعشة، دفقة دفقة، يسمعها وهو ملتصق بالأرض. محاولة أخرى أخيرة يزحف بإصرار واستماتة وعناء. لهاثه يتلاحق كلهاث سمكة أخرجت للتو من البحر، توشك على الموت، رذاذه يتناثر شظايا على الرمل الناصع. البحر يقترب أكثر. شم رائحته العابقة بالرطوبة الباردة والأعشاب والحصى والطحالب

والأسماك اليانعة. حاول أن يتذكر منذ متى بدأ يحلم بالماء. تفصدت ذاكرته عرقاً، لكنه لم يتذكر شيئاً غير الحنين الذي ينغل في جوفه كالشهوة المميتة، كالرعشة الأولى اللذيذة الموجعة. ثمة عطش كالسحر يسوقه إلى البحر قطيعاً من ذكريات وخرافة موغلة في النسيان. لم يعد يعبأ بجلده المتشقق زحفاً، كما لم يعبأ من قبل بأطرافه المتساقطة، طرفاً طرفاً، ولا بالأصوات الأخرى القادمة من بوابات الجحيم، أو بقطرات الدم التي صبغت التراب تاركة وراءه خيطاً متقطعاً. شعت في عينيه نجمة كبيرة من الفرح إذ رأى الماء أخيراً أقرب إليه من نبض قلبه، فاتحاً له ذراعين ممتدين كالأفق وها هي الزرقة المتسامية تدعوه في لهفة جسد أليف يعرفه جيداً. البحر أخيراً. البحر أخيراً. زحفة واحدة ويكون الماء، يغرق في عذوبته... زحفة واحدة، لكن الرأس تدحرج بعيداً منفصلاً عن الجسد، فهمد الأخير فوق التراب المشبع بالرطوبة كحجر أصم، فيما العينان في الرأس ترنوان بشبق إلى الموج الأزرق والأبيض وهو يقذف إلى اليابسة سمكة أخرى تحتضر!

الصدى*

هكذا خرجوا دفعة واحدة، وتركوه وحيداً. كل الأصوات والعيون والأنفاس غادرت المكان. بعد الحشد والضجيج والصخب ساد صمت فجائي بدأ يسمع خطواته المقبلة. شعر الآن بالمكان متسعاً وأليفاً وغناء. هذا الكرسي مريح. ولم يكن كذلك للحظات مضت. الغرفة غرقت الآن في هدوء لذيذ يزيده جمالاً خيط الشمس المتسلل من النافذة والمرتمي عند قدميه. نظر إلى المكان. تأمل بدقة ورق الجدران وتشكيلات الزهور والطيور فوقها. ثم نظر إلى الكراسي والكتب الصامتة فوق الأرفف. توقفت عيناه عند لوحة وحيدة يحبها كثيراً. خلفية اللوحة رمادية تميل إلى السواد المبيض، ثم يختفي الرمادي درجة درجة، ودرجة درجة يظهر في زاوية اللوحة اليسرى إلى الأسفل طيف يجلس على كرسي وحيداً ينظر في فراغ، وفي الزاوية اليمنى إلى الأسفل يبدأ لون كلون الشفق في الظهور الشفيف، ودرجة درجة يتكوم

* من مجموعة على حافة النهار .

ليصبح كتلة حمراء صلبة وبرتقالية مصفرة. استرخى للهدوء، واستسلم كلية للجلسة المريحة فوق الكرسي الهزاز الذي أخذ يحركه إلى الأمام وإلى الوراء. منذ متى لم يحظ بلحظة كهذه، بهدوء كهذا؟ ليرحل العالم خارج الغرفة في ضجيجه وليذهب الآخرون في هذياناتهم حتى الجنون، أو الموت. حدث نفسه. ليس أمتع من هذا الاستسلام والوحـدة والصمت. ها أن أطرافـه، رأسـه، صوته، جسده بالكامل يعود إليه، يشعر بوجوده الشامل، دمه ينبض فوق الكرسي، ومشاعره تعرش في الغرفة، وأفكاره تعشب في الفضاء، ليرحل الآخرون إلى الجحيم، كم كانوا جحيمه!

انسحب خيط الشمس في خفوت مثلما تسلل كاللص، وكاللص أيضاً أطلت بواكير عتمة شفافة، ثم اختلط الضوء بالعتمة وامتزجا، وأشاعا في الغرفة جواً حالماً أضفى على أحاسيسه مزيداً من المتعة والدفء، ودرجة درجة أخذت مساحات العتمة تتزايد، ودرجة درجة كان ضوء الشمس يتلاشى، ثم لم يكن في الفضاء إلا بقايا نور متفتت وثمة دكنة لونها بارد كالجليد تتسل من أحشاء الشمس لتغمر الجو وتغرق الغرفة كلها في السواد. هكذا، إذن، خرجوا دفعة واحدة، وهكذا، إذن بقي وحيداً مستمتعاً

بالفراغ. رسومات ورق الجدران، والكراسي والكتب الصامتة والباب والستائر، والطيف الجالس في اللوحة، كلها اختفت في الظلام القادم من بعيد، من وراء الجدران، واحتل المكان في سرعة لم يتوقعها. توقف الكرسي عن الحركة: كبسة واحدة على الزر وينحدر الظلام، لكنه لم يستطع النهوض. فوجىء أن رجليه غير موجودتين، حاول تحريكهما، لكن لا إحساس فيهما، لا إحساس لديه بهما. مد إحدى يديه ليتحسس بها رجليه. لكنها لم تمتد. حاول مد اليد الأخرى وبلا جدوى. ظلت في مكانها. جسمه يعصي الحركة وعيناه غارقتان في الظلام. اقشعر رأسه، غزاه رعب مدمر، ولقرون عديدة انهال فوقه الجليد والصمت المخيف المديد المدوي. لم يسعفه إلا الصوت. لعل أحداً خارج الغرفة. وراء الجدران يسمع هدير استغاثته، نهر بكائه. فتح فمه، ثمة فرحة صغيرة اقتحمته: ثمة فم لايزال صالحاً للإستعمال! ملأ صدره بالهواء حتى انتفخ، ثم صرخ بقوة صرخة ظنها ستحطم الجدران، لكنه لم يسمع شيئاً إلا دبيب الصمت والظلام والرعب المتكاثف حتى العماء، منذ خرجوا دفعة واحدة، وتركوه في لوحة معلقة فوق جدار.

* * *

قصص العدد

نوافذ ١٤

نوافذ

دورية تعنى بترجمة الأدب العالمي

رمضان ١٤٢١هـ

DECEMBER 2000



النادي الأدبي الثقافي بجدة

Nawafidh 14

NAWAFIDH 14

عبده خال

من مواليد 1962 (السعودية). روائي ، أصدر أربع مجموعات قصصية : حوار على بوابة الأرض (1987)، لا أحد (1990). ليس هناك ما يبهج (1995). من يغني في هذا الليل (1998).

الرائحة قادمة[1]

مشهد لا يمكن أن يعود شخص لسرده.

على ضوء القمر المسترسل بفجاجة، تبزغ قامات من على جدر منخفضة وتهبط كحجار ثقيلة - داخل السور - وتثب من مكان هبوطها عجلة ربما تنفض أرديتها البيضاء وربما لا تحرص على ذلك ، تتشعب خطواتها في سباق محموم، وتندس هناك بسرعة فائقة وكأنها تلعب لعبة الاختباء ، ليعود الصمت فتياً متأهباً

لاستقبال قادمين آخرين يعكرون سكونه بطرق نعالهم ودمدمتهم الموحشة غير متهيبين من جلال المكان.

(2)

....

- هل جاءت المدينة بأجمعها؟

ربما كان هذا الخاطر محفزاً لي لأن أسابق تلك القامات عجلتها وأحجز مكاناً قبل أن أجد نفسي مقذوفاً في العراء.

- لم أكن متوقعاً أن أجد الجميع هنا.

بعد أن خرجوا من شقتي يرتجفون تذكرت تصبب العرق من وجهه ويديه المرتعشتين فقفزت من جلستي مرعوباً..الآن فهمت فحوى كلامه وسر ذلك الرداء الأبيض الذي كان يتمنطق به، هببت من جلستي فزعاً حين سقطت فكرة غامضة ضاربة في قاع جمجمتي وعكرت دوائر البال.. لدغني هاجس ضياع الفرصة الأخيرة وقبل أن تنضج الفكرة التي حلت برأسي كنت قد عبرت منحنيات الحارة كوميض جرح الأفق بلحظته وغاب.. غاب مطمئناً لأنه وجد أفقاً يلحده كما يليق ببرق خاطف.

ضجيج وطرق باب لا يمل.

كان الليل مستبشراً ببدره الذي اكتمـــل وتدلى كقنديل متوهج قلل وطأة العتمة الرابضة بين الأزقة ومحا وحشة المنحنيات الضيقة.. كان بالإمكان أن يكون ليلاً مثالياً للسهر والخروج لجذب قوارب الذكريات القديمة أو تبادل همسات عشاق أضناهم البعد.. كان بالإمكان أن يكون مثالياً لأي شيء يمارس في حي ضمر ولم يعد مرتوياً بأهازيج السمار والدوران حول نار مستعرة في لعبة المزمار المهيجة للنزال والمقارعة.. كان بالإمكان أن يكون ليلاً مثالياً لولا تلك الرائحة النتنة التي علقت في الهواء وتوزعت في كل جنبات الحارة لتدفع بالناس خارج بيوتهم بحثاً عن نسمة هواء يجددون بها حياتهم التي يشعرون أنها تتملص وتغور.

رائحة نتنة.. (نتنة ليس وصفاً دقيقاً لتلك الرائحة).

فلم تكن رائحة خمرية لتكدس النفايات أو جريان المياه الآسنة أو سهك العمال المتجمع في ثنايا أبدانهم بعد يوم من عمل مضن وشاق أو صنن أولئك الذين لا يعرفون نتف شعر الإبط فبقي صننهم يفوح من تحت أرديتهم الثقيلة ولم تكن رائحة لسمك دهك تحت أشعة

شمس حارقة أو شياط قطن احترق أو زناخة الدهون المنسابة على أرضية الحي من صاجات الباعة ولم تكن رائحة مروحة للحم فاسد أو مذر بيض فقص قبل الأوان أو حامضة كخبز تخمر فأعطن.. رائحة جمعت كل تلك الروائح وساحت في الأمكنة ولم تمكن أحداً من استنشاق الهواء بيسر فغدت هاجساً يحرك كل الألسن بسؤال يرف كجناح عصفور:

- من أين تأتي هذه الرائحة

* * *

لم يعد أحد قادراً على التنفس

خرجت الحارة عن بكرة أبيها للبحث عن مصدر تلك الرائحة التي أحالت حيهم إلى فضاء خانق ولم يخرجوا إلا بعد يأس قانط من أن يجدوا حلاً لدى الجهات التي انقلبت على أعقابها بعد محاولات بائسة لاكتشاف مصدر تلك الرائحة.

ففي البدء اتهمت البلدية لسوء خدماتها وتقاعس عمالها عن حمل حاويات النفايات وقذف محتوياتها بعيداً عن الأحياء المزدحمة بالناس وقد تعددت الشكوى وتبرع

أحـــد رجالات الحـــارة المرموقين بإيصال شكـــوى تلك الرائحة إلى مدير البلدية المسؤول عن هذا الحي ولم يبادر للإستجابة إلا حينما نشر خبر صغير في جريدة الحوار المرموقة تحت عنوان (رائحة غريبة تسرق الهواء).

في اليوم التالي ربضت عشرون عربة من عربات البلدية وحملت جميع القمامات ونثرتها على أطراف المدينة إلا أن الرائحة ظلت رابضة في مكانها فقامت البلدية باستبدال الحاويات القديمة بحاويات جديدة.. وعندما تفاقم الأمر وتنافرت الشكوى لجهات متعددة تحركت الصحف لمتابعة تلك الرائحة فنشرت جريدة الشراع استطلاعاً مطولاً وقد ظهر أهل الحي مكممي الأفواه وهم ملقون على جوانب الطرقات كمن أصيب بوباء فتاك ورافق إحدى الصور هذا التعليق (أحد مواطني الحي وهو يستجدي الهواء) واستضافت الصحيفة في ذلك الاستطلاع مسؤول البلدية الذي نفى أن يكون هناك تقصير من قبل جهته وحاول أن يزحزح التهم في اتجاهات أخرى، فتوجهت إشارة الاتهام لمصلحة الصرف الصحي إلا أن هذا المرفق تنصل من التهمة بوجود مصاريف يستحيل معها بقاء أي سوائل وليؤكد نزاهة مرفقه أنزل عشرات من عمال الصرف الصحي ليصرفوا المياه الراكدة، ولكي

تنتقل إشارة الاتهام في جهة أخرى بعيدة عن مرفقه تعلل بغياب مركز صحي بالحي مما نتج عنه تفشي هذه الرائحة مؤكداً براءة مرفقه من إحداثها، فتحركت وزارة الصحة وأرسلت أطباءها وضخت الأكسجين مجاناً ليومين متتاليين وعندما لم تفلح في إحداث تغير انقلب أطباؤها وعادوا من حيث أتوا وصرحت مصلحة الأرصاد وحماية البيئة أن هناك أثرا للرائحة لا يعرف مصدرها بالتحديد نافية وجود تلوث من أي نوع تسبب في إحداث تلك الرائحة، وإزاء هذه المشكلة التي تتصل منها الجميع، شكلت المحافظة لجنة لاستقصاء أسباب انبعاث تلك الرائحة الغريبة وجاء في تقرير اللجنة ما يلي: تجاور البيوت وعدم نظافة أهلها وانسياب كثير من السوائل مجتمعة أدى لظهور هذه الرائحة والاقتراح بث الوعي وإلزام الحي باتباع النظافة في كل معاشاتهم والإيصاء بإلصاق لوحات إرشادية لإزالة مثل هذه الروائح مستقبلاً.........(3)

وبهذا التقرير نسيت الجهات المسؤولة ذلك الحي ورائحته وبقي الناس يقرؤون اللوحات الإرشادية التي ألصقت في جميع منحنيات الحارة ويجاهدون لاستنشاق الهواء.

وعندما تركت الحارة لتدبر حل مشكلتها ظلوا

لأيام يتبادلون الرأي وصدق معظمهم على مقولة أحد رجالات الحارة:

- هذه الرائحة رائحة شخص مات.

هذه المقولة تناقلتها الأعين مما جعل سيارات الشرطة تعشش في أوصال الحي كطيور عادت لأوكارها فجأة، وبعد تفتيش دقيق كذبوا تلك المقولة وتركوا أمراً صريحاً معلقاً على أذان أهل الحي :

- ما تقومون به يدخل ضمن إزعاج السلطات ومن يكرر الفعلة سيجد عقاباً صارماً.

لم يكترثوا كثيراً لهذا التحذير وجلس الكبار منهم لإحضار المتغيبين عن الحارة وعندما لم يجدوا شخصاً غائباً قال قائل[4] منهم:

- ربما يكون الميت غريباً أو حيواناً انحشر في مكان لا نعلمه.

وتواصوا بالخروج للبحث عن مصدر تلك الرائحة.

الليلة خرجوا جميعاً للبحث.

* * *

أعيش في هذا الحي منذ زمن طويل..

حي ينعم بكل شيء إلا الفرحة لم أر أحداً يبتسم أو يتبادل التحية، الكل يدس عيونه في الأرض ولا يرفعها إلا لماما، ترتفع الأيدي في تلويحة مبتورة وتعود إلى مكانها بسرعة متناهية ارتفاعها يشي أنها تحية وفي حقيقة الأمر هي ساتر لحجب العين من الابتعاد عن الطريق المرسوم لها، أقطن هذا البيت منذ عشرين عاماً تزيد قليلاً لم يبادلني أحد الزيارة ولم أجالس أحداً لمعرفة أخباره، وخلال هذه السنوات نبتت في داخلي العزلة ولم أعد حريصاً على معرفة ما يدور في الجوار وأيقنت أننا نعيش كالخلية الواحدة غير قابلة للإنقسام أو كقبور متجاورة كل شخص في قبره.

حياة مملة وباردة يمضي يومك وأنت منشغل بلوازم حياتية جامدة وإذا أزهـر أمل طارىء في حياتـك فهو فرحة بأن يتحقق في الأيام القادمة وبهذا تم ترحيل كل الأفراح للأيام القادمة التي لا تأتي.. أخرج يومياً من الصباح الباكر للعمل وأعود مع المساء كشمس مرهقة عليها أن تنجز دورتها اليومية مهما حـدث وتؤوب مع المساء لتختبىء خلف الليل في إغفاءة قصيرة وتعاود حركتها في صيرورة لا تنتهي. مضى شهر كامل ولم

أوف بالوعد الذي قطعته على نفسي، فحين كانت تتحشرج بآخر أنفاسها أصابني الهلع ليس لموتها ولكن لشعور مباغت بأنني سأبقى في هذه الحياة وحيداً كآنية أفرغ ماؤها وبقيت هكذا تستقبل الغبار والهواء العابر.

غدت من عاداتي أن أقف على قبرها بعد صلاة الجمعة، فذلك اليوم الوحيد الذي أجد نفسي متحللاً من أعباء العمل أنهض مع الساعة الثامنة والنصف وأظل منشغلاً بتنظيف البيت وإزالة الأقذار المترامية هنا وهناك بعدها أدخل الحمام وأريق الماء على جسدي لساعة أو ساعتين دون أن أعمل شيئاً سوى استقبال تلك المياه والعبث بمحتويات الحمام أو برغوة الصابون التي تتكوم على فوهة مخرج البانيو وقبل أن يؤذن المؤذن أكون جالساً في مقدمة الصفوف قارئاً للقرآن وبين الحين والآخر أترك عيني تتربص بجموع المصلين في ركوعهم وسجودهم أو متابعة تعبيرات ملامحهم المتجهمة.. وأكون من أوائل الذين يخرجون حيث أسير مباشرة إلى مطعم (صباح الخير) وأتناول وجبة الغداء بنهم مبالغ فيه ولمواظبتي على الغداء هنا نشأت علاقة ألفة مع صاحب المطعم الذي كان يجذب كرسياً إلى جواره ويدعوني لمشاركته كأس شاي أظل أرشفه بينما ينشغل هو بمحاسبة

الزبائن كان جلوساً غبياً أمارسه كل جمعة، لا حديث يكتمل بيننا فمع أول موضوع يكون أحد الزبائن مستعداً للمحاسبة ويذهب حديثنا مفككاً سمجاً لكننا ألفناه. أودعه قبل أذان العصر بقليل وأتحرك صوب المقبرة مؤدياً للصلاة.. وبعدها أقف أمـــام قبرها أتلو الســـور القصار وأسرد على مسامعها همساً كل ما حدث خلال الأسبوع المنصرم، أخبرها بكل التفاصيل وأمضي وقد تحللت من الكلمات التي تحجرت في فمي خلال بقائي وحيداً.

وقفت مذهولاً أمام قبرها، كان قبراً فارغاً وقد كشف غطاؤه، بعد تراجع متكرر تطلعت لداخل القبر وهالني منظر ذلك النمل المحمر والذي يتحرك بسرعة ويتريث قليلاً يقضم شيئاً ما ويعود لحركته النشطة.. كان القبار بعيداً عني تحركت صوبه صائحاً:

- أين صاحبة القبر؟

- لقد جمعت عظامها وستدفن في مكان آخر.

- كيف هذا؟

- هذا ما يحدث ففي..........[5]

وبالتفاتة مدققة رأيت كل القبور مكشوفة ومهيأة

لاستقبال نزلاء جدد، وقد اختفت تلك الحشائش الخضراء المرفرفة على بعض القبور كانت آثار نتف عشوائي لتلك الحشائش بادياً حيث بقي بعضها متمسكاً بجذوره ومبدياً مقاومة لليباس الزاحف لقرض اخضرار أصفر بالأطراف وعلى امتداد البصر وفي خطوط متوازية فتحت فجوات غائرة في الأرض.. شعرت برعشة تعتري جسدي:

- هل فتحتم كل القبور؟

العرق المتصبب من جبهته والرداء الأبيض المتشح به يشيان بانشغاله، أكان لابد أن أتبعه لأعرف السبب؟ كنت أسير خلف ممشاه العجل وأذرف الأسئلة المتلاحقة فلا يلتفت أو يجيب أيقنت الآن أن الأمر لم يعد مجدياً فقد توجه صوب أحد القبور مستعجلاً وسقط داخله كنت ألمح يديه ترتفعان وتقتربان من ضلفتي القبر بتعرش لم أفهم جملته المواربة:

- أيام قلائل وستجد قبر زوجتك مغلقاً لا لا بل كل القبور ستغلق لن تجد قبراً مفتوحاً.

هزأت به في داخلي، وعدت لقبر زوجتي مددت رأسي فلمحت النمل قد صعد جنبات القبر بمثابرة عنيدة، نمل لا حصر له أحسست به يقترب من قدمي التي تجاور

فتحة القبر وينهض إصبعي التي بانت من مقدمة الحذاء فزعت وخرجت على عجل بينما كانت يدا القبار لاتزال تتعرض بضلفتي القبر في محاولة مستميتة لإغلاقه !!..

بعدها لم يعد لي مكان أذهب إليه ففي يوم الإجازة أظل أحوم داخل الحارة وفي أحيان أجلس في النافذة أتطلع لشارع مقفر من المارة سوى سيارات عابرة أو شجرات عاقر ترف ورقاتها بتقاعس في استجابة لتدفق هواء رطب وتبدو في تمايلها كعجوز خريفية جلست تفاخر بفتنة قديمة عبرت محياها، وقد أقلعت عن الوقوف في النافذة حينما لامني الجيران:

- أنت تقف لتكشف عورة البيوت المجاورة.

- أنا لا أرى أحداً.

- لكنهم يرونك وأنت تقف لكشف عوراتهم.

- والله لا أرى أحداً منهم.

- المهم.. عليك أن لا تقف هنا.

أقلعت عن فتح النوافذ ولكي لا توسوس لي نفسي بإلقاء نظرة عابرة من إحداها قمت بإحضار عامل تلحيم ليصب لحاماً ثقيلاً على ردفات النوافذ ويستر الزجاج

بألوان حديدية وعندما انتهى وجدت أن البيت غداً معتماً وأكثر أماناً، وأصبحت من عاداتي مجالسة التلفاز لوقت طويل وفي أحيان أستيقظ وأغلقه أو أتركه حتى أعود.

منذ أيام لم أعد أطيق المكوث داخل البيت فقد انبعثت رائحة وخيمة ظلت تجوس في مكانها دون أن أتمكن من معرفة مصدرها وظننت في البدء أن إغلاق منافذ البيت أدت لوجود مثل هذه الرائحة، ولولا خشية من تقول الجيران أنني أصر على هتك عوراتهم لعدت بالعامل لفتح كل النوافذ، إزاء هذه الخشية أقلعت عما نويت وأخذت أتشمم مصدر تلك الرائحة فلم أستطع تحديده بدقة وعندما فتحت الباب انبعثت تلك الرائحة فوارة كدت أطرق الباب على جاري متوسلاً إليه أن يرحمني بتنظيف داره حتى وإن لزم الأمر إحضار أحد العمال للقيام بهذه المهمة على حسابي الخاص فلم أعد أشك بتاتاً أن الرائحة الكريهة تنبعث من شقته:

- ماذا لو طرقت عليه الباب الآن؟.. ماذا ستكون ردة فعله لو اتهمته بمثل هذا الاتهام؟ وماذا يحدث لو لم يكن داخل البيت؟ أوه ستغدو كارثة لو لم يكن بالداخل فلربما اتهمني بالتربص بأهل بيته.. ساعتها لن تجدي شكواي من هذه الرائحة[6]. الحل الأمثل أن أتدبر أمري.

قمت برش منظفات ذات روائح زكية على مدخل البيت وتجرأت ورششت بعضها على باب جاري على أمل أن تتغلب العملة الجيدة على العملة الرديئة وانتظرت ذهاب تلك الرائحة لثلاثة أيام وعندما بقيت في مكانها توجهت إلى الصيدلية وأحضرت كمامة ووضعتها على أنفي ومع ذلك ظلت تلك الرائحة تجوب البيت بهمة.

هذا الحي قذر للغاية فمع مظاهر الرفاهية التي تبدو للعين إلا أن ثمة قذارة تنبعث من مكان خفي، ثمة شيء يفسد ويتحلل مطلقاً رائحة تذكرني برائحة القبور المبثوثة.

كنت أظن أنني الوحيد الذي يضع الكمامة على أنفه لكن هذا الظن خاب، ففي صلاة الجمعة رأيت المصلين يدخلون للمسجد مكممة أفواههم وبعضهم حمل زجاجات العطر وصبها في زوايا المسجد - ربما كنت أول من وضع كمامة على فمه واقتدوا بي من حيث لا أعلم -.

حياة رتيبة ومملة، لا شيء يحدث أيام ساكنة مستنسخة ننزع أوراق التقويم علنا نجد خلف أوراقه شيئاً مزهراً كل ورقة تنزع تنبهنا بالخسران.........[7] آه لا شيء يحدث!!

جلست لانتظار الغد، فلازالت الساعة تقترب من التاسعة مساء، كان الوقت يسير بطيئاً متهالكاً، بينما التلفاز يشعرك برداءة الوقت.

ضجيج وطرق عنيف يتواصل على بوابة المنزل.

- من ذا الذي خرج من قبره في هذا الوقت ليأتي لزيارتي.

قمت متباطئاً وأدرت عكرة الباب فاندفع لداخل البيت مجموعات غفيرة من الناس واضعين كماماتهم على أنوفهم وبقيت عيونهم تجول في المكان:

- هيه.. ماذا حدث.. ماذا بكم.

- ألا تشم هذا النتن المنبعث من شقتك.

- شقتي!!

- نعم رائحة أشبه برائحة كلب ميت.

- ومن أين يأتي كلب لداخل الشقة.

- دعنا نرى.

انطلق الجميع لتفتيش الشقة وفي لمحة بصر قلبت رأساً على عقب، كان رئيسهم يسير متشمماً أركان البيت ووقف أمامي مستغرباً وصاح:

- هذه الرائحة منبثقة من جسدك..

فغرس جميعهم أنوفهم في جسدي ككلاب تتأكد من حاسة سيدهم وتصايحوا:

- هو مصدر هذه الرائحة.

صاح الرئيس:

- أنت رجل ميت بلا شك!!

كنت على وشك قذف ما في جوفي حينما ألصقوا أنوفهم بجسدي فارت نفس الرائحة من أجسادهم ولكي أتأكد تحاملت على نفسي وغرست أنفي في صدر كبيرهم وصحت به متقززاً:

- وأنت أيضاً رجل ميت فالرائحة نفسها تنبعث منك.

تشمم ساعده وأجفل.. تشمم أنامله فجحظت عيناه.

وأشعلت رعب البقية.

- وأنتم أيضاً.

وكالضباء انشغل كل منهم بشم جزء من جسده وتفرقوا صامتين.

* * *

كان الليل مستبشراً باكتمال بــدره، يســرف في صرف ضوئه فتبدو الأشياء واضحة ظاهرة.

جلس واجماً وأنفاسه تكاد تتقطع، فيبعد يديه عن أنفه، يبعد نفسه عن نفسه وتقف في مخيلته صورة القبار والعرق يتصبب من جبينه متلفعاً برداء أبيض ويديه تتعرشان بضلفتي القبر وصوته الواثق:

– أيام قلائل وستجد قبر زوجتك مغلقاً لا لا بل كل القبور ستغلق لن تجد قبراً مفتوحاً.

فــز من جلسته كالملدوغ ونبــش خزانة ملابسه ووجــد رداءً أبيض ناصعاً تلفع به على عجــل، وشــق منحنيات الحارة بخطوات ثابتة مستقيمة وضوء القمر يعكس ظله على الجدران فيلمح أخيلة لا حصر لها تتشجر على ظله لم يعد السير مجدياً هرول وكلما لسعته سياط الخوف زادت سرعته.

كان سور المقبرة منخفضاً قفزه على عجل، وأهاله انعكاس ضوء البدر على أشباح كثيرة تتلفع بأرديتها البيضاء تتبت للحظات على جدار المقبرة، وتقفز للداخل وتسير حثيثة الخطى لتدس أجسادها في تلك القبور المفتوحة وتتعرش لبعض الوقت قبل أن تجذب ضلفتي

القبر فينطبق بضوضاء يجفل لها سكون المقبرة، بصعوبة وصل إلى قبر زوجته فوجده مغلقاً، بينما كان القبر الذي يجاورها لازال شاغراً تلفت حوله وأرعبه عجلة أشباح تسابقه لملئه وبسرعة خاطفة جذب كرسياً منــــزوياً – كان ملقى هناك – وقذف به لداخل القبر ورمى بنفسه وبحركات متشنجة صعد على الكرسي ومد يديه وأطبق ضلفتي القبر فهبطت ظلمة فاقعة نحى الكرسي جانباً والتحف بردائه الأبيض وفرد قامته وتمدد في رقدته باستسلام.

14 يوليو 2000م

الهوامش

* وجدت هذه الأوراق الصفراء - والتي ننشرها كما هي - في إحدى المقابر ومعها أدوات بدائية مكونة من قلم وكشاف صغير وملابس ممزقة تعود لمطلع القرن وساعة وكرسي بقيت من قوائمه قائمتاه الأماميتان ولازال علماء الأنثروبولوجيا صامتين إزاء إثبات حقيقة ما تحمله تلك الأوراق ويدرسون سبب استخدام الكاتب لضميرين في كتابته لهذه الأوراق وإن رجح معظمهم أن تكون الأوراق المصاحبة للجثة مجرد قصة لكاتب وينقض هذا الرأي بقية الجثث التي وجدت بنفس المقبرة وهي ترتدي ملابسها كاملة - على ما يبدو - وتشارك الجثة الأساسية ارتداء ساعاتها وأحذيتها وقد وجدت بعض عملات ورقية قديمة متآكلة تعود لزمن استخدام العملات النقدية في التعامل.

وحذر علماء المستقبليات من نبوءة صاحب الأوراق بهبوب رائحة تجتث الأحياء من على وجه البسيطة في يوم من الأيام دون أن يجدي التقدم الطبي المهول مدللين على تلك النبوءة بالعنوان الذي عنون به صاحب الجثة أوراقه (الرائحة قادمة) ويشاركهم هذا التوجس مجموعة من المهتمين بدراسة أحوال الأقدمين وإن زاد هؤلاء رأياً مفجعاً ينص:

- من المرجح أن الموتى مر بهم موت جماعي تفسخت أجسادهم وبقيت أرواحهم معلقة في أجساد أصابها العطب لم يكتشفوا موتهم إلا حينما انبعثت روائحهم.

وزادوا:

- هذه الرائحة تكرر مع حدوث كارثة كونية لا يعلم بها أحد تتسلل أبخرتها عبر الغلاف الجوي وتقضي على الأحياء دون أن يشعروا فتبقى الرائحة دليلاً على تحلل أجسادهم.

ويرى علماء النفس أن مثل هذه الحالات يمكن أن تحدث بنسبة ضئيلة لا تصل 2% (عبر تاريخ الإنسانية الطويل).. تحدث للبشرية في حالة الإحباط الشديد حيث تشعر النفس بكآبة عميقة يصاحبها شعور طاغ بأن الروح ذبلت ولابد من ترك الحياة بأي صورة كانت.

ويتم الآن تجهيز أحد الرواد للعودة للزمن الذي ذكره الكاتب لجمع بيانات تكشف أسباب تلك الرائحة وإن كانت هناك معارضة على إرسال شخص بديل حيث يرى الأطباء أنه من الضروري استنساخ صاحب الجثة وإعادته لزمنه لاكتشاف الأسباب الحقيقية لهذه الرائحة ويشجع الجمهور إتمام هذه الفكرة بنسبة 88% بتحريف يكلف الشركة الوطنية لإدارة الثروة البشرية مليارات من الريالات حيث يرون ضرورة استنساخ جميع الجثث وإعادتها لزمنها مع نقل بصري مباشر لما يحدث لهم عند عودتهم لزمانهم.

وتخضع جثة صاحب الأوراق لتحليل الجذور الجينية لمعرفة سجله المرضي قبل المغامرة في إعادته لزمنه وإن كانت تواجههم معضلة لم يعلنوا عنها صراحة.

ويقول البروفسور خالد عبدالله:

هذه الجثث هي تحد حقيقي لتطورنا الحضاري فليس المهم كم نتكلف لاكتشاف أسباب تلك الرائحة بقدر ما نحققه من إنجاز علمي لإماطة اللثام عن كارثة جماعية لم تذكرها وسائل الإعلام

في زمنها ولم تحاكم المتسببين في إحداثها واكتشافنا لأسبابها يمنحنا فرصة قضائية لمحاكمة أولئك المتسببين وتطبيق العقوبة عليهم في حالة نجاح التجارب التي تجرى الآن لإعادة الموتى الافتراضي.

وإلى الآن لازال العالم كامل البصراوي في زيارة للمريخ لتبادل وجهات النظر مع بعض علماء الكائنات الحية حول هذه القضية التي غدت شاغلة للجمهور.

ملاحظة: ***لأن أرشيفنا الورقي لم يحفظ كاملاً فلم نستطع العثور على الاستطلاع الذي أشارت إليه الأوراق، هذا إذا كان المقصود صحيفتنا وليست صحيفة أخرى وجدت في العهد الماضي بهذا الاسم أيضاً نقول هذا لأن جريدتنا في ذلك العهد لم تكن من الجرائد المرموقة. !!***

(1) – أدرجت هذه الأوراق تحت مسمى قصة قصيرة بناء على اقتراح العالم الاجتماعي ياسين الجداوي وشمل أن تكون بهذه الصورة محاكاة لما كان عليه العرف في كتابة القصص في ذلك العهد، وقد ثبت اسم من كتب تلك الأوراق وفق بطاقة شخصية تحمل اسم (عبده خال) للجثة التي وجدت داخل القبر.

(2) – كلام مطموس لم تستبن منه اللجنة ما يمكن أن يؤول.

(3) – يوجد كلام مطموس لم تستطع اللجنة المعنية بقراءة هذه الأوراق قراءة فقرة كاملة ولم يشأ أحد منهم وضع كلام بديل وغلب بعض الدارسين لهذه الورقات أن الفقرة المطموسة بها توصية من قبل اللجنة المشكلة لدراسة انبعاث الرائحة تحمل في معناها أن الأمر لا يعدو كونه ليس بها من خطر على بقية

المدينة ولا تستوجب كل هذا الهلع إضافة لذلك لم يعثر في سجلات المحافظة على مثل هذا التقرير مما يجعل الأمر يبدو وكأنه اختلاق في اختلاق لكن الأمر المحير عدم وجود تفسير منطقي لمثل هذا الموت الجماعي.

(4) – ذكر اسم شخص لكن الاسم لم يكن واضحاً فاستبدل بالتعبير الشائع (قال قائل منهم).

(5) – كلام مطموس.

(6) – علماء الاجتماع لم يشرحوا لنا سبب هذا التحرز الشديد ويبدو أننا في حاجة لدراسة الأوضاع الاجتماعية السائدة في تلك الفترة وأسباب هذا الانغلاق الذي تشير له الأوراق.

(7) كلام مطموس.

صفحة الإلكترونية من جريدة الحوار الصادرة في تمام الساعة الواحدة ظهراً بتاريخ 12-4-2511م.

* * *

حسن النعمي

من مواليد 1959 السعودية. روائي. أصدر ثلاث مجموعات قصصية: زمن العشق الصاخب (1984)، آخر ما جاء في التأويل القروي (1987)، حدث كثيب قال (1999).

أحلام الرجل الصالح

أطبقت عيني، لكني لم أنم. ضحكت على جسدي ولم أنم. ظل عقلي مستيقظاً، متوثباً لأي حادث قد يطرأ. أنا الرقيب على عقلي. وعقلي رقيب على نفسي. آه من نفسي، نفسي الأمارة بالسوء وغيره. هل تصدقون! سأروي لكم بعضاً من نزقها. أمرتني ذات مساء أن أبحث عن أحلامي. وعندما رفضت، اتصلت بالشرطة وأخبرتهم عن شبروعي في البحث عن أحلامي. جاء رجال الشرطة

بكل جبروتهم. قبضوا علي وكأنني أحد المجرمين العتاة. وضعوني رهن الاعتقال ريثما يجيء المحقق. كنت جالساً وراء القبضان. أتدرون من كان ينظر إليَّ بتشف ونزق؟طبعاً نفسي التي أحبها وأكرهها، نفسي التي أملكها ولا أملكها، نفسي التي تهزمني وأهزمها. كانت واقفة أمامي عارية من كل وقار، واقفة تسخر من اعتقالي.

في موقفي هذا الذي يدعو للحذر واتقاء الشر، تساءلت: هل أنا فعلاً أبحث عن أحلامي؟ أو بصيغة أخرى هل أنوي أن أبحث عن أحلامي؟ أو هل أجرؤ على التفكير في البحث عن أحلامي؟ وإن كنت أبحث عنها، فهل أبحث عنها في يقظتي أم في منامي؟ أم أنني رأيت فيما يرى النائم أنني أبحث عن أحلامي؟ ربما أن نفسي هي التي حلمت، لكن يجوزأيضاً أنني رفضت أن أحلم معها. وبالتالي تكون نفسي هي التي تحلم بواقع غير واقعها. إنني بريء مما تحلم به نفسي. في سركم، يا سادة، أحلام نفسي منطقية وجميلة، لكن من الأفضل أن ندع الحديث عنها. لقد قررت أن أتنازل عن أحلامي، أو لأقول بدون أن أنسب إلى نفسي، قررت أن أتنازل عن الأحلام. الأحلام ليست لي. إنها ترف ترهق المستيقظ، وتزعج النائم.

دخل المحقق وسألني:

- من أنت؟

- مواطن.

- أقصد اسمك؟

- صالح.

- تقصد مواطن اسمه صالح.

- كما تشاء، يا سيدي.

- لماذا أنت هنا؟

- متهم بأنني أبحث عن أحلامي.

- ماذا؟!

- قلت لك!

- اشرح لي أكثر!

- ليس لدي أي إضافة!

- أحمق - وأخذ يلوح بالعصا في وجهي.

اعتقد المحقق أنني أسخر منه. مارس أفعالً آلية. خرج ودخل، قام وجلس. كانت أفعالاً تتم عن عصبية

واضحة. نظرت من بعيد إلى نفسي، نفسي التي وضعتني في هذا الموقف الصعب. كانت تحبس ضحكة لا أدري عليَّ أم على المحقق. وحدث المستحيل. حدث الذي أذهلني. حدث الذي سيغير مجرى دوائر التحقيق في العالم. حدثت الهزيمة الأولى لرجل من رجال التحقيق. تقدمتْ نفسي نحو المحقق الذي كان واقفاً يتشاغل بالنظر إلى أوراق في يده. المشهد تاريخي. وربما أنه موثَّق على نحو ما، بل إني أعتقد أن شركات التلفزة العالمية لديها صورة وثائقية مما حدث. قلت تقدمتْ نفسي بينما أنا أقبع في زنزانتي. ربتت على كتف المحقق. استدار كمن لدغته أفعى. لم يجد أحداً. حدق نحوي بغيظ. عادت نفسي إلى مداعبته. اشتد غيظه. بدأ يتصرف بخوف. وكان كلما أحس بلمسة على كتفه ينظر إليَّ. فجأة التقطتْ نفسي عصا المحقق التي كانت على مكتبه، وانهالت بها ضرباً مبرحاً على ظهر المحقق. خليط من مشاعر الخوف والدهشة والألم والجنون اجتاحت المحقق. من الذي يضربه؟! أنا في الزنزانة، بيني وبينه قضبان حديدية. لا سبيل إلى أن أهزمه. لكن نفسي هزمته. غاب المحقق في خوفه وألمه وذعره. صرخ كما لم يصرخ من قبل: يا أولاد... قال كلمة بذيئة عفتها وعافتها نفسي. جاء أولاد الـ... كانوا

بعض العساكر، ولم أكن أعرف أن أولاد الـ... يمكن أن يكونوا من البشر أيضاً!! يا لسذاجتي! لا يهم. فهذه المسألة واقعية جداً هنا.

وقف العساكر ينظرون بدهشة للمحقق وهو قابع على الأرض يحتمي بيديه من صفعات نفسي. أخذ يصرخ:

- أنقذوني!

تساءلوا باندهاش:

- من أي شيء؟

- لا نرى أحداً.

سمعوا تأوهات المحقق. نظروا بعين الشك إليه. قال أحدهم:

- لقد جن المحقق.

صاح بحنق:

- أغبياء! لا يهم، احملوني.

مسكين هذا المحقق! أول مهزوم لا يعرف من هزمه. حملوه ووضعوه على مكتبه. أحضروا له ماء.

شرب بنهم وهو ينظر بخوف إليّ. كنت أرى نفسي ترقص بفرح. بادلتها ضحكة مكتومة في البداية، لكن ما لبثت أن تعالت حتى ضج المكان بها، استنكر المحقق:

- لماذا تضحك؟!

- لا شيء.

وبعد أن هدأ قال:

- ماذا ينقصك حتى تبحث عن بعض الأحلام؟

- هل تعرف أحلامي؟

- لا يهم.

- من الذي اتهمك بالبحث عن أحلامك.

- نفسي.

لاحظت اندهاش المحقق. فغر فاه على نحو مخيف، ثم عبر عن اندهاشه قائلاً:

- هل قلت نفسك!

- نعم.

- هل أنت مجنون؟

- ربما.

- وربما أنك عاقل.

- ربما أنني مجنون، وربما أنني عاقل.

- هل هذا لغز؟!

- أقول لك، إنني في بعض الأحيان أحس بالجنون، وفي أوقات أخرى أحس بتمام عقلي.

- هل تسخر؟!

- لا.

قال المحقق:

- أنا لا أحلم، رغم أنني تعلمت أن الأحلام مشروعة.

- وكيف لي أن أعرف ما هو المشروع من عدمه؟!

- كن فطناً.

- ...

- سأفرج عنك، على أن تراجعني في الغد.

أفرج عني المحقق بعد كثير من المماحكة التي لا طائل من ورائها. رأى المحقق أنني بريء إلى حين. هل أنا بريء حقاً؟ لم أعد أعرف. أما نفسي فقد واصلت عنادها وتعذيبها لذلك المحقق إلى أمد لا أعرفه.

خرجت من قسم الشرطة حافي القدمين. كان الوقت عصراً. حملت همومي ومضيت أسير على غير هدى. فجأة قفزت نفسي على كتفي. أحسست بثقلها. طرحتها أرضاً، وهربت. كانت نفسي تطاردني. مررت بالقرب من مبنى ضخم تحت الإنشاء. قررت أن أتوارى من نفسي قليلاً. سمعت صوتها يطاردني: جبان.. جبان! صعدت المبنى طابقاً تلو الآخر. بلغت الدور العشرين، ربما أكثر، وربما أقل. لا أعرف بالضبط. كان المبنى يضج بحركة العمال والآلات. اقتربت من نافذة عريضة. نظرت إلى أسفل. شعرت بدوار فظيع، خفت. تمسكت بإحدى تمديدات الماء ونظرت. كان الناس يتحركون كالنمل. أما السيارات فكانت كألعاب الأطفال. فجأة رأيت رجلاً يمر بجانبي. حياني بيد كيدي. كان يرتدي معطفاً كاكياً مثل معطفي. وكان معتماً بشماغ حمراء متسخة مثل شماغي. له شارب كث غير منظم مثل شاربي. وله وجه قمحي بلون وجهي. وله أنف نابت كأنفي. اقترب من سور النافذة وصعد على السور وأخذ يُدلي قدميه. صرخت:

- انتظر. لا تسقط. الدنيا لا تستحق أن تهبها عمرك بهذه الحماقة. أرجو، لا تنتحر. أرجوك...

تأهب الرجل ليرمي نفسه. هربت إلى النافذة

الأخرى. كنت خائفاً أن أدان بقتله. اختبأت بين العمال الذين لم يشعروا بشيء مما يجري. فجأة رأيت نفسي تقف خلف الرجل. وقبل أن يقرر الرجل أن يرمي بنفسه كانت نفسي قد دفعته ليهوي ولتهوي نفسي معه. ارتطم الرجل بأرض الرصيف. تلوى يميناً وشمالاً ثم استقر على بطنه كنائم. مر الناس بالقرب من جسده دون أن يعطوه أدنى انتباه. نزلت من المبنى خائفاً. كنت أتصبب عرقاً وأنا أهبط درجات السلم. وصلت إلى جسد الرجل. لمسته بحذر. مايزال دافئاً، غير أن نهر الدم كان ينسكب من فمه. فجأة رأيت سيارة الشرطة. اختبأت، رأيت المحقق يتفحص الرجل، نظر في وجه رفاقه واستقلوا سيارتهم ومضوا. أما أنا فقد جلست منكسراً بجانب الجسد الدافىء ونفسي من بعيد ترقب حالتي بمشاعر غير واضحة المعنى.

* * *

إبراهيم الناصر الحميدان

روائي، من مواليد 1933 (السعودية). أصدر عدداً من المجموعات القصصية، منها: "أمهاتنا والنضال" (1962)، "أرض بلا مطر" (1967)، غدير البنات (1977)، "عيون القطط" (1991)، "تجمتان للمساء" (1998).

أمل الغربة

هذا البريق اللزج يتناوش الأفكار الهاربة من ثوى الذاكرة يحاول أن يتسربل، هذا التدفق الذي يكاد أن يصرع السنين من عمر زمن تلاشى كالضباب. والمساحة التي تتحرك حولها لم تكن لتضيق إلا وتشع بالبساط الأخضر الذي واكب فصل الربيع. دوائر متداخلة تتوس بالنرجس والخزامى.. تنفث وهي تتأود عبير كاعب تحوم حولها النظرات الولهى إلى وصالها فكانت أمل ذات الوجه المشرق بقامتها الممشوقة وشعرها الرماني الذي يختفي

أكثر أطرافه الحريرية تحت الوشاح الذي يتوج تلك الرأس الصغير كأميرة جذابة من عصـــور مضت تطـــل بوجهها المستدير الأبيض الذي يصبح حنطياً عندما تغضب ببشرته الناعمة. تلمع في وسطه خرزتان عقيقتان فوق أنف أقنى قصير يتربع على فتحة الفم الصغيرة ذات الشفتين القرمزيتان الممتلئتان. تشرأب بذلك الصدر الشامخ الذي يكتنز ليمونتين قاسيتين. وفي الوسط يعتصر الخصر النحيل بذلك التناسق... الذي دفع بعجيزة ممتلئة تنهض فوق سيقان عبلة كما تمثال إغريقي يحاول النسيج الذي ترتديه، أن يمنع العيون المتلصلصة من الغور إلى تفاصيل التكوين الذي يفوح من أعطافه شذا يسكر الأنوف مع تلك الأناقة المتأصلة دون مغالاة ما بين النسيج والجسد!

لها فراسة ذكية بمن حولها فهي مقتصدة صبورة لا يبين منها ضيق حتى وإن بدت متعبة.. رافعة رأسها بشموخ كفرس عربية أصيلة فتحسبها متكبرة للوهلة الأولى بينما هي حذرة قلقة تستجيب لأول نداء يوجه لها برحابة متوجسة من هذه العيون التي تحاصرها أينما ذهبت فجعلتها متوترة. فهي تخشى من أن يتقدم نحوها أي كان ليقرصها فجأة أو يحـــاول اعتراض طريقها... أو لمجرد الاحتكاك ولمضايقتها بالأسئلة المريبة فلقد حذروها

كما يبدو من بعض التصرفات الهمجية التي يتسبب فيها فتية بطش بهم الحرمان والنزق إن لم يكن الترف لذا فهي تلوذ بتلك الغرفة الصغيرة في بداية عنبر مستطيل تنظمه حجرات من الجانبين تحتوي على أسرة كثيرة يحتلها مرضى يتمددون فوقها أو يجلسون عليها. وفي تلك الغرفة الجرداء التي تحتوي دواليب زجاجية وعربات صغيرة تحمل معدات العمل من الأدوية والقطن والشاش تطلق لخيالها العنان حيث تعيش أسرتها بعيداً عنها إلى مسافات تبلغ آلاف الكيلومترات يتذكرون رغبتها الملحة في تجربة الاغتراب الذي انتهى في هذه الغرفة الكئيبة تمسح فيها عبراتها إن تزايد ضيقها أو استثارتها ذكريات أيامها الجميلة الهادئة بين أفراد أسرتها الصغيرة حيث كانت تحاط برعاية خاصة لرهافة حسها وهدوئها ومحبتها للعزلة مبتسمة راغبة تدندن بجرس موسيقي بعض الأغنيات التي تنبض بالأشجان! على أن الملاحظ أن تعاطفاً جماعياً حدث نحوها. ذلك أن أكثر أفراد أسرة المستشفى تبرعوا بحمايتها من أنفسهم قبل النزلاء والمراجعين.. لذا فإن كل واحد منهم يراقب تصرفات الآخر - بطرق خفية - حتى لترتفع الأصوات أحياناً بالإستنكار والإحتجاج مما أوجد حصاراً رهيباً حول هذه الفتاة التعيسة

التي كان جمالها الجذاب سبباً في هذه الزوابع النائمة تحت سياج من التريث الممتلىء بالشكوك والريبة. فهي محاصرة من عشرات العيون التي ترصد كل حركة أو نأمة حتى حين تتنهد أو ترتشف جرعة ماء. فهي عندما تلتفت متبرمة أو مغتبطة فيقع نظرها صدفة على أحدهم.. عند ذاك تسري شائعة بأنها منحت هذا الآدمي منزلة خاصة! أما إن كانت النظرة غاضبة فقد أُخرج هذا الإنسان من جنتها الخاصة فيا له من بائس ولدته أمه في ليل...! ومع ذلك فهي تهاجم بتساؤلات جائرة عن معنى هذا الذي حدث وهي في الواقع لا تتذكره ولا تدري له أي تفسير مما يجعلها ترتبك وربما ضحكت بصوت عال لتخرج تلك الموسيقى الحزينة وهي تذوب في رقة.. ذلك الصوت الجميل.

مدير المستشفى – وهو كهل في الخمسين من العمر – شامي من حمص طيب القلب له أذنان مهدلتان على رقبته النحيلة رائع النظرات، يتذمر طوال الوقت من الحظ السيء الذي جعل عمله مجرد التوقيع على عشرات الأوراق التي تمتد بها إليه الأيدي من كل جانب وهو الطبيب الذي كان مشهوراً ذات يوم باللسان الطيب

الوقور وليس بالوصفات الناجحة، يستمع بين الوقت والآخر إلى همسات تستحوذ على تفكيره تارة فيتنهد قائلاً بصوت مرتفع ضجراً - الله يخلصنا من هيك الشغلة ما فيها غير وجع الراس - ثم يتلفت حوله بذعر خوفاً من أن تكون تلك الشكوى سوف تبلغ آذان المسؤولين في إدارته. شعره الأشيب يتناسب مع جسده الضامر. إن الهمسات التي تبلغ مسمعه عن بعض تصرفات ممرضاته مع المرضى تجعله يبتئس تارة من صلاحية إدارته فيرجح فشله أكثر من نجاحه ومع ذلك فإنه في نهاية اليوم المسائي يستدعي هذه الممرضة الرقيقة الناعمة ليأخذ في توبيخها وتعنيفها لتهاونها في أداء عملها فلا تخرج من مكتبه إلا وهي تكفكف دموعها لشعورها بالظلم الفادح من هذا الذي سمعته من الرجل الطيب.

لذا فإنها لا تنام دون أن تبكي كل ليلة متسائلة في سرها ماذا عملت حتى تستحق هذا التوبيخ والاتهامات الباطلة. على أن ما لم تفهمه هو ذلك الألم والمفاجأة التي ظهرت على وجه الرجل الكهل حين قدمت له خطاب الاستقالة. فلقد حاول أن يثنيها عن

عزمها معترفاً لها بأنها أفضل "بناته" في المستشفى وأنه يقدرها ويعترف بإخلاصها في العمل وتفانيها ولكن الوظيفة والمركز تفرضان عليه بأن يكون قاسياً مثل الأب الذي يحافظ على أفراد أسرته.

وابتسمت لأول مرة بسخرية.

* * *

حسن بن مجاب بن يحيى الحازمي

من مواليد 1965 (السعودية). شاعر. أصدر مجموعة "ذاكرة الدقائق الأخيرة" (1963).

تِلْكَ التَّفاصيل

تملّكني إحساس مفاجىء بالموت.

كل شيء حولي بدا مُتّكئاً على أحزانه ويبكيني: مكتبتي المُتْربة، الكتب التي قرأتها، الكتب التي لم أقرأها، أوراقي المبعثرة على المكتب، الصحف المتراكمة التي أرجأت قراءتها، سرب الكلمات المحلقة في سماء الغرفة تنتظر لحظة استمطاري الرواية التي كنت أقرأها قبل أن أخرج لأموت، طفلي المشاكس الذي سينهض من نومه ولا يجدني، وسينطلق مباشرة إلى المكتبة، يجلس كعادته

أمام الباب، يركله بقدميه وينادي "بابا.. بابا افتح لي" "بابا.. بابا جاوبني" "بابا هب لي لبان" وفي آخر ركلة سينفتح الباب، وسيدخل فرحاً، ولن يقرأ لوحة الحزن المرسومة على كل الجدران، وسينظر خلف الباب – حيث أختبىء له دوماً – وحين لا يجدني سيسحب الكرسي إلى جوار أرفف المكتبة، وسيحاول جاهداً أن يصل إلى علبة اللبان في أعلى رفٍ فلا يستطيع، وسيخرج منادياً في كل أرجاء المنزل: "بابا.. بابا... بابا هب لي لبان" "بابا.. بابا جاوبني" فلا يُجيبه سوى الصمت...، وحزن الأشياء من حوله وبحيرة دمع تتسرّب رويداً رويداً من حجرة نومنا لتغرق الصالة وكل أرجاء المنزل.

* * *

خرجتُ من المكتبة رافعاً طرف ثوبي حتى لا يبتلَّ في بحيرة الدمع. دلفتُ إلى غرفة النوم، بدا كل شيء هادئاً. زوجتي محاصرة بطفليها ولا مكان لي إلى جوارها... سحبت فراشاً من غرفة الضيوف.. وضعته في أرضية غرفة النوم، وتمددت عليه وإحساسي بالموت يزداد تضخماً.

ستقول زوجتي بعد أن أخرج غداً وأموت: "كل

ليلة كان يعيد الأطفال إلى سررهم إلا البارحة نام في الأرض، لم يزعج أحداً... ألا ليته أزعجنا... ألا ليته... وستشرق في دمعها وهي تقول كأنه مفارق... كأنه يدري... ألا فداك روح روحي...

فَرَّ النوم بعيداً، رأيته وهو يخرج من النافذة، واستسلمت لحصار الموت.. شغلتني تفاصيل موتي: في أي طريق سيصطادني غداً؟ بالتأكيد لن يُغسّلوني هنا في هذا البيت المستأجر الضيق، سيحملونني إلى بيت أبي، وفي فناء الدار الواسع سيجتمع الناس، وسأكون حينها مُسَجّىً على سرير الغسل في الغرفة التي غسلوا فيها جدّتي في الطريق الشمالي من الفناء. سيشمّر الشيخ ناصر كمي ثوبه. يدخل المغرف الصغير في سطل الماء، ويسكب على جسدي المتراخي ماء دافئاً لا أشعر بدفئه. بكاءً ونهنهات وتسابيح وذكر، وأنا أهتف ولا أحد يسمعني: عجّلوا بي.. عجّلوا بي.

طفرت من عيني دمعة، فنهضتُ أودّع أطفالي، وعدتُ من جديد إلى فراشي، أغرسُ عيني في السقف، وأقرأ تفاصيل موتي. داهمتني تفاصيل الآخرين، تذكرتُ جارنا "محمد جابر" تذكرت عناقه لي قبل موته بساعات، كأنني لم أكن معه قبل ذلك بيوم، كأنني لن ألتقيه ثانية،

كانت الفرحة تشعّ من عينيه وهو ذاهب إلى السيل: "يقولون جاء سيل كثير، والبلاد كلها ارتوت، هل تذهب معي؟" اعتذرته ووعدته باللحاق به، وبعد ساعتين فقط كان جسداً مسجى بلا روح، والناس يتناقلون مروره إلى أعمامه وعماته وأخواله وخالاته ووداعه لهم، وتسامحه منهم، وكأنه كان يدري.

وتذكرت الشيخ "أحمد مصلح" بقامته الفارعة، ولحيته البيضاء الكثة، ووجهه الذي يشعّ بنور الإيمان، حضرت كل التفاصيل التي قيلت في "فراشه"، كل شخص كانت له معه حكاية، وكل حكاية كانت تنبىء عن إحساس خفي بالنهاية القريبة، وأغرب ما حدث أنه أرسل في طلب أولاده قبل موته بأسبوع، فحضر ابنه الكبير من تبوك، وحضر ابنه الذي يدرس في الرياض، وابنه الأصغر الذي يدرس في أبها، وحضرت جميع بناته المتزوجات في القرى القريبة، وبعد أن اكتمل عقدهم سألوه لماذا أرسلت في طلبنا؟ فقال لهم: فقط اشتقت لرؤيتكم. وفي فجر يوم الجمعة – قبل أن يعود الأولاد إلى أماكنهم البعيدة – مات وهو ساجد وأكد أكثر من واحد من جماعة المسجد أنه كان دائماً يكرر وهو ساجد: "اللهم أحسن ختامي".

وعبر كالطيف زميلنا "حسن عبدالله" الذي مات في

الشرقية وهو في السنة الأخيرة في الجامعة، مات بعيداً بلا تفاصيل صغيرة نجترها في "فراشه" سوى بعض الذكريات القديمة التي كنا نلتقطها من سنوات الدراسة البعيدة غائمة وباهتة.

واستقرت في السقف صورة "إبراهيم الضمدي" بوجهه الأبيض العريض، ولحيته السوداء الكثيفة، وابتسامته التي لا تفارق وجهه. من منا لم يبكك بحرقة يا إبراهيم؟! من منا لم تكن له معك حكاية رواها في "فراشك" وهو يبكي؟! الآن تقفز إلى الذهن كل الحكايات التي قيلت بعد موته: صلاة التراويح التي أمّ الناس فيها، نشيجه المتواصل في دعاء القنوت، خروجه لأول مرة مستعجلاً بعد الصلاة كأنه على موعد مع الموت.. لم يشأ أن يتأخر عنه، ابتسامته التي كانت على محياه ساعة الغسل، السكينة التي نزلت على أمه وأبيه، جسمه الموفور تماماً بعد الحادث بلا خدوش أو كسور، السهوم الذي تغشّاه على مدى أسبوع كامل قبل وفاته، صفرة وجهه التي كسته طيلة الأسبوع الذي سبق موته، والتي أولها المتأولون بأنها ورقة العمر التي تسقط من... قبل وفاة الإنسان بأسبوع، وتظل تفقد خضرتها يوماً بعد يوم وفي اليوم السابع الذي تصفرّ فيه تماماً يموت صاحبها. سداده

لكل ديونه، تسامحه من كل أصحابه. ذهابه إلى الشيخ يحيى أمام الجامع وشيخ القرية...، ووصيته له بأن يقف على قبره إذا مات ويطلب من كل الحاضرين مسامحته، لم يترك شيئاً لم يفعله، وكأنه كان يرتب لموته، حتى شنطته التي وجدوها معه في السيارة كان بها كفنه وحنوطه! هل كان يحملها معه دائماً أم أنه وضعها تلك الليلة؟! ما الذي لم يقل عنك يا إبراهيم؟ وما الذي سيقال عني غداً حين أخرج لأموت؟!

حاولت أن أتذكر آخر شخص قابلته الليلة، فلم أفلح. كثيرون قابلتهم، وكثيرون سترتفع أصواتهم في "الفراش" وهم يحكون تفاصيل لم أنتبه إليها، أكاد أبصرهم وأسمعهم الآن. هذا صالح البقّال أراه وأنا بين النّوم واليقظة واقفاً يودّع أبي، يده اليمنى في يد أبي، ويده اليسرى تتحرك على كرشه الصغير البارز قليلاً، وهو يقول: " ولدك وفيّ (الله يرحمه) بمجرد أن يستلم الراتب يمر ليعطيني حقي، البارحة مرّ وناولني سبعمائة وخمسين ريالاً، وقال: سبعمائة حقك، وخمسين تبرئة ذمّة، وسامحني يا عم صالح الدنيا حياة وموت، الله يرحمه كأنه كان يشعر بالأجل".

وستغرق عينا أبي في الدموع وهو يردد معه (الله

يرحمه)، وسيعود إلى مجلسه وصور كثيرة من طفولتي تلح عليه يحاول أن يصرفها فلا تتصرف، وسيغرس عينيه في الأرض يحمد الله في سرّه، ويغالب أدمعاً لا يريد لأحدٍ أن يراها، وسينتشله من تفكيره صوت أستاذنا محمد الوادعي، أستاذ الفقه والتوحيد، ومأذون القرية وهو يقول: "سبحان الله يا جماعة، كأنه كان يُحسّ بالموت، تصوروا البارحة مرّ عليّ الساعة العاشرة ليلاً وأنا على وشك النوم، دق الباب فلبست وخرجت وأنا أقول في نفسي (اللهم اجعله خيراً)، وحين رأيته استغربت زيارته، فأنا والحق يقال لم أره منذ زمن طويل، وهو لم يزرني قبل هذه المرّة، فقلت له مازحاً: خير يا بني من الذي سيتزوج؟ أنت أم أبوك؟ ضحك وقال: لا أنا ولا أبي، ولكني يا شيخ محمد جئت أودعك وأتسامح منك، أنا مسافر بكرة إلى الرياض، ولا أدري هل نلتقي بعدها أم لا؟ وأنت تعرف يا شيخ محمد أننا أيام الدراسة عذّبناك وأتعبناك، وطالما قلدنا مشيتك وحركاتك في الفصل، وتعرف يا شيخ محمد أيام السفه والطيش، فأرجوك سامحني، واعف عني وعن كل زملائي فكلنا نذكرك بخير، وندعو لك، والله وحده يعلم معزتك في قلوبنا...".

الآن أتذكر بوضوح، الشيخ محمد هو آخر شخص

قابلته الليلة بالفعل، فلماذا تذكرته بعد كل هذا الزمن، ولماذا ذهبت إليه في ذلك الوقت المتأخر، وكأن الأمر لا يقبل التأجيل؟ ألأنني كنت أخشى أن أموت أنا أم هو قبل أن أعود من سفري؟ ألأنني مسافر غداً إلى الرياض؟ كم مرة سافرت قبلها؟ مائة مرة؟! ألف مرة؟! فلماذا لم أذهب قبل ذلك؟ لماذا الليلة بالذات؟ لماذا؟

ازداد إحساسي بالموت، كل الأشياء التي فعلتها اليوم وأمس كانت توحي بأنني أودع الآخرين: أختي التي زرتها أمس، وقلت لها بالحرف: " لك في ذمتي مبالغ كثيرة تتبقى دائماً من الفلوس التي تعطينني لشراء بعض لوازمك، فإن مدّ الله لي في العمر، أعدتها لك، وإن متُّ قبل ذلك فسامحيني، وإن متِّ أنت قبلي تصدّقت بها على نيتك.."، أمي التي تسامحت منها عن كل لحظات الغضب الطائشة، أبي الذي طلبت منه أن يغفر لي كل تقصير، أصدقائي الذين زرتهم وعتبت عليهم طول انقطاعهم، وعدم سؤالهم. زملاء الدراسة القدامى الذين هاتفتهم في المدن البعيدة ولي من الحديث إليهم سنوات طويلة. كل شيء كان يوحي بموتي ولكن كيف ومتى وأين.؟! هل سأمـوت وأنـا في طريقي إلى المطـار؟ أم سأمـوت في الطائرة؟ هل سأموت في حادث؟ أم سأموت بالسكتة؟

ما الفرق؟! فالنتيجة واحدة! وغداً يقولون: "مسكين ما تهنّى بشبابه". يبيته، مات وهو يقرش "مسكين مسافر يطبع كتابه، خمس سنوات من التعب والسهر، مات وما رآه، مات وكتابه في المطبعة"، وغداً يجلسون في "الفراش" يتذاكرون الأشياء التي فعلتها في اليومين السابقين، يحسنون بي الظن ويذكرونني بخير، ولا أحـــد يدري ما الذي فعلته في الثلاثين عاماً الماضية، ولا ماذا أخفيت عنهم؟ لو أن الله يعطيني يومين، يومين فقط، لن أغيب فيهما عن صلاة الفجر، وسأمرّ على كل الذين أخطأت في حقهم، وكل الذين اغتبتهم، لأطلب منهم الصفح والغفران، وسأتوب صادقاً هذه المرة عن كل الخطايا والذنوب. آه! كم من الخطايا والذنوب قارفت!! هل أستطيع أن أتذكر الآن؟! يارب السموات والأرض وربّ كل شيء اغفر لي ذنبي كلّه ما علمت منه وما لم أعلم، ما أذكره وما نسيته، يارب تب علي توبة نصوحاً وتوفني وأنت راضٍ عني، يارب...

تململ الأطفال في السرير، وسحبت أمهم المخدّة وغطت وجهها، هل كان صوتي عالياً؟ راقبتهم حتى هدأوا، وعدت من جديد أحدث نفسي: لعل هذا مجرد هاجس، هاجس فقط سيزول حين أصحو غداً. ترى لو

زال هذا الهاجس هل سأستمر بهذه الطيبة والتسامح.؟ وهل سأنجز ما وعدت؟ ولكن كيف يكون مجرد هاجس، وكل الأشياء التي فعلتها توحي بنهاية قريبة حتى وضعي الذي أنا عليه الآن، سترثيه زوجتي بالأيام السابقة، وستقول غداً بعد أن أموت وهي تغالب أدمعاً تتهاطل: "فداه روح روحي من البارحة وهو مفارق، البارحة ما نام معنا، كل ليلة كان يعيد الأولاد إلى أماكنهم، أو يضع رأسه معنا إلا البارحة، نام في الأرض، مفارق مسكين، له أسبوع وهو مفارق.. أسبوع كامل وهو ليس من أهل الدنيا، ساهم ولونه مخطوف، وكلامه قليل، ألا ليتني أدري... ألا ليتني أدري، والله ما يغمض لي جفن... ألا ليتني...".

بلعتُ غصّة كبيرة كانت تسدّ حلقي، وصرفت عيني عن السقف إلى الجدار المقابل، كانت الساعة تخطو خطواتها الأخيرة نحو الرابعة فجراً، وأنا لازلت ممدوداً على فراشي وإحساسي بالموت يزداد تضخماً. وحين بدا لي أن الموت يلفّ حبائله حولي فتحتُ عيني بقوة، قلت لأملأ عيني من أولادي قبل أن أغمضهما ولا أستطيع رؤيتهما ثانية. استويتُ جالساً في فراشي، ونظرت إليهم نظرة وداع فشعرت بغصة أكبر تستقر في حلقي،

وزحمتني رغبة جارفة في البكاء، فنهضت متثاقلاً وأنا أغالب دموعي، وقبلتهم فرداً فرداً فلم أشبع وقلت في نفسي هذه هي الحياة نفارقها ونحن لم نشبع من شيء بعد؛ ثم عدتُ إلى فراشي، تمددت وسمّرت عيني في السقف من جديد، فرأيت قضبان النافذة مرسومة عليه ورأيت الغرفة مغمورة بضوء أصفر باهت، هو ضوء الشارع يتسلل دائماً إلى غرفتنا مخنوقاً عبر زجاج النافذة الموصدة، لطالما أزعج زوجتي هذا الضوء المتسلل، ولطالما طالبتني بستائر ثقيلة: "لا أستطيع أن أنام في الضوء، استر هذه النافذة بستائر ثقيلة حتى يغمرنا الظلام، وننام بهدوء". أيتها الحبيبة النائمة: ها أنت تنامين والضوء يغمرك، فلماذا تستعجلين الظلام؟ سوف تنامين في ظلام كثيف كثيف وستحلمين بنافذة موصدة وضوء خافت فلا تجدين. أيتها الحبيبة النائمة. افتحي عينيك وأبصريني لآخر مرة فقد لا ترينني ثانية. أيتها الحبيبة النائمة: ها إن الموت يلف حبائله حولي فمدي يديك.. مدّي يديك.

* * *

منى الشافعي

(الكويت). أصدرت عدداً من المجموعات القصصية، منها: "النخلة ورائحة الهيل" (1992)، "البدء.. مرتين" (1994)، "دراما الحواس" (1995).

الأخرى!

قبل أن أتلاشى وتبهت باقي خطوطي.. فجأة!.. سمعت وقع خطواته المتأنية دائماً، تقترب مني.. الغريب أنني لم أنتبه لصوت صرير الباب العالي، يبدو أنني نسيت رتمه، فقد عشت وحدتي وانتظاري لأكثر من شهر.

وهو يتأملني بصمته القاتل، حاولت أن أهدأ فأحتفظ بتوزان خطوطي حتى لا تضيع ملامحي في سكونه.. مضت أكثر من لحظة وهو لايزال يتأمل.. تمدد حجم اللحظات.. للمرة الثانية احتواني قلق الانتظار لتلسعني برودة الوحدة.. ثم.. لم أتبين من ظهره غير حركة يديه السريعتين وهما تخلطان الألوان.

في داخلي توزعت فرحتي، أخذت أنفض حبات الفرح، وأناقش جنيات الأفكار، غداً.. سأبدو أجمل الجميلات.. رائعة بشعري الأسود الفاحم المتموج بعنفوان فوق كتفي، أما جمال عيني الداكنتين كظلمة مساء رائق، فسيطفو فوق نقاوة بشرتي السمراء المرتاحة.. بألق على جسدي.

أوه.. يدي اليمنى لاتزال تؤلمني، لا أدري لماذا تركها ناقصة؟.. حددني بنصف يدي.. حشرني بقوة في رقعة كنفـــاس، على كبر حجمها لا تتســـع لكل أحلامي وطموحاتي.. لحظتها.. لم يهتم لصراخي الهلامي الذي مزق فراغ المرسم الذي تناثرت على حوائطه بعض اللوحات الملطخة بالألوان والسكون المخيف، إلا من تردد أنفاسه الهادئة الرتيبة وشيء من تنهداته التائهة فوق حدودي.

بخفة، استدار نحوي، ضرب جسدي... بريشته الرشيقة التي أشعرتني بدغدغة تملأ فراغاتي، أنستني نعومتها احتياجاتي ووجعي، ملهوفاً يدلق اللون تلو اللون، كالنار تخترقني نظراته الحائرة.. فجأة!.. يلسعني رفضه.. أحس بضربات قلبه وهي تعاند ضربات ريشته.. ترفض مزج ألوانه الداكنة.. يرتجف كرها لتكويني.. بعصبية مجنونة يلتقط ريشة ذات شعيرات كثيفة، يغمسها بسائل ما، بقوة يزيل جمال ألواني، يلتهب جسدي ألماً، يتركني مشوهة

إلا من خطوط سوداء باهتة بالكاد تحدد معالمي.. أتوسد ذراع الوجع.. على وجعي ترتاح رغبته، بألق ظاهر يشعل سيجارته.

ينتشر المساء، يهيمن بعتمته على المكان.. السيجارة العاشرة ترتاح بين يديه، ينفثها أشكالاً شيطانية تتلولب في فضاء المرسم، تصلني باردة تتساوق مع هدوئه وارتياحه، تغتال جسدي المنهك التعب، تزداد ضربات ريشته التماعاً فوق أطرافي التي أخذت تبرق بياضاً، أخذت أنطفىء إحساساً كلما أشرقت ألوانه بهجة على جسدي.. كدت أتمزق وهو يدلق آخر ألوانه على شعري الذي أصبح حريرياً بفضل ضربات ريشته اللئيمة.. آه.. يعذبني التماع اصفراره.

فجأة!.. تفور نوبة جنونه ليلتقط ريشة صغيرة دقيقة، يغمسها بلون أزرق كبحر تجرد من أمواجه، يغرزها بفرحة في فراغ عيني، ينقرني الوجع، وجعي يمتد ويكبر، لم أكن يوماً في خياله زرقاء العينين، شقراء الهوية!.

كقصيدة نثر حالمة، فقدت معانيها، لتتناثر كلماتها هائمة، تتمدد تائهة في نسيج الكنفاس الحزين، تركني.. وحين بكيت، تأملني.. لتنحرف ضربات ريشته الحاقدة التي لا حدود لقساوتها وجرأتها.. أصرخ.. يحتبس صوتي بين شفتي المزمومتين.. حينما حدد معالم فمي تركه مغلقاً.. ليكن!.. فإن حزني أكبر من صراخ لحظة!.

تعددت الإيقاعات المتنافرة بيننا، ينفث الفرح دخاناً من سجائره، تعتريني هزة ظلم، يكمل بريشته زينتي، أمتلىء قهراً، يطفىء سيجارته ليشعل أخرى، ألتهب من الداخل، وبرغبة محمومة أبحث عن باقي خطوط يدي الناقصة، أجدها مكبلة خلف ثنايا الزمن الراكض قربي، قبل أن أبتهج وألملمها.. يأتيني صوت خطوات أنثوية رشيقة كالحلم، تقترب تلك الخطوات إلى سمعي.. تصطدم عيناي المنطفئتان حزناً، على جمال عينيها الداكنتين، تقف مدهوشة تتأملني، تتحسس براحتيها الناعستين تعاريج جسدي، تبحث عن فرحتي الهاربة.. تنكمش ملامحها الرائعة، يرتجف قوامها الرشيق تحت ثوبها.. تتلفت.. ينفر شعرها.. يتمرجح بجنون حولها.. يرتبك صاحبي حين تصافح عيناه وجهها الأسمر الثائر، قبل أن يتقدم بخطواته مصعوقاً من وجودها، مرعوباً من نارية نظراتها، أفاجئه بيدي التي تكونت، لتمتد طويلة عالية تمزق رقعة الكنفاس، تفجر الإطار الخشبي المزخرف ليتناثر جمراً حول جسده المرتجف، أنطلق كالحمامة في فضاء المرسم، ليتعانق صوتي وصوتها، لتخرج صرختها معبأة بالرفض والوجع.. تصيح بجرأة بوجهه الأصفر الذابل:

– من هذه الدمية ؟!

* * *

خليل إبراهيم الفزيع

من مواليد 1941 (السعودية). اصدر عدداً من المجموعات القصصية. منها: "الساعة والنخلة" (1977)، "النساء والحب" (1978)، "سور الخميس" (1979)، "بعض الظن" (1993).

المأزق

مطعم الميناء واحد من أهم معالم المحمدية.. مدينة النفط المغربية المطلة على المحيط.. الواقعة في منتصف الطريق بين الرباط والدار البيضاء.. في هذا المطعم يحلو له ولزوجته تناول طعام العشاء كلما سنحت الفرصة.. لقد استهواهما هذا المطعم المصمم على الطراز الأسباني.. بجوه الرومانسي وأكلاته البحرية اللذيذة، وزبائنه الذين يشكل الأجانب غالبيتهم.

قالت وهي تتصفح قائمة الطعام بعد أن استقرا في

أحد أركان المطعم.. بقرب نافذة مطلة على حديقة مليئة بشتى أصناف الزهور، وشجيرات البرتقال والزيتون، وأشجار الأرْز العملاقة، وقد أضفت الإضاءة على الحديقة جواً يبعث على الطمأنينة والحبور:

-لم أتصل بأمي منذ أسبوع.. أرجو أن تذكرني بالأمر عندما نعود للفندق.

إنها مشدودة إلى تلك الديار الموسومة بالجفاف والصّهد كما وصفتها يوماً.. تحمل معها أمها وإخوتها أينما ذهبت.. هذا الانتماء الطاغي لغيره يزعجه.. كما يزعجها حديثه عن أهله.

لم يصرح لها يوماً بِضيقه من اهتمامها بأهلها في أوقات يتمنى فيها أن تهتم به أكثر.. تأمل وجهها المشرق.. وجمالها الفريد.. ورقتها المتناهية.. انتبه إلى النادل وهو يقف بمحاذاته مستفسراً عن اختيارهما من الطعام.

حدق في قائمة الطعام.. خيّل إليه أن الحروف قد تحولت إلى أرتال من النمل.. تتحرك إلى أطراف القائمة ثم تختفي حتى بدت القائمة خالية من الكتابة.. رماها مذعوراً وبحث عن النمل فلم يجده، عندما التقطها مرة

أخرى وجد الحروف في أماكنها.. داهمته الرغبة في الضحك فقاومها.. طلب من النادل التريث لدقائق أخرى. قال:

- أمي.. أمي.. أهلي.. الهاتف (وبعدين)؟.

ولما بدا عليها الاستياء سارع إلى القول:

طيب.. حاضر وممنون، عندما نعود إلى الفندق سأهاتفها بنفسي.

كانت لاتزال منشغلة بتفحص قائمة الطعام.. مرة أخرى أقبل النادل لتسجيل طلبهما.. أملت عليه اختيارها فقال الزوج:

- وأنا مثلها.. اجعل الطلب لاثنين.

ثم التفت إلى زوجته بعد انصراف النادل وقال:

- لماذا لا تتكلمين.. سيظن الناس أننا مجرد زوجين، كيف لي أن أخبرهم أننا عاشقان.. رمت بهما دروب الحب من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب؟

ابتسمت.. شعر بالفرح يطغى على كل ما حوله.. وبدا سقف المطعم الخشبي بعيداً إلى الأعلى، وقد تطاولت الجدران وتحول لونها إلى الأخضر، وبدا العشب النابت

بين شقوقها أكثر اخضراراً، بينما تحولت أرض المطعم إلى اللون الوردي.

تذكر أنه قبل أيام قليلة أدخلها في نفق القلق غير المبرر.. استاء من تصرفاته التي طالما أزعجتها، ومن كلامه الذي طالما آلمها.. تسلل الحزن إلى نفسه.. لزم الصمت.. إلى أن قالت مستغربة:

- هل فقدت لسانك.. لماذا لا تتكلم؟.

وكأنما انتشلته من قاع الحزن فقال:

- يبدو أنني أزعجك بكلامي.. كلما حاولت كسب رضاك.. يجانبني الصواب، وأرتكب الحماقات من غير قصد.

وكأنما أرادت أن تهوّن عليه فقالت تمازحه:

- ما أحلاك وأنت في هذه الحالة.. تخلع جلباب الغموض، وتتخلى عن دور القسوة، فتعود كما أنت.. طيباً ورقيقاً وواضحاً.

أمسك بيديها وقبلهما وقال:

- أرجوكِ لا تسيئي فهمي.. إنني أحاول إرضاءك، لكنك حساسة أكثر من اللازم.

- وأنت متهور أكثر من اللازم.

حاول أن يستشف من نبرات صوتها ما إذا كانت تمازحه أم تذكره بأحد عيوبه، لكن صوتها بدا محايداً، فافترض حسن النية.. وهي القاعدة الذهبية التي يتعامل بها مع كل الناس إلى أن يثبت العكس.. وطالما طرحت آراء لا يتفقان حولها سواء أثناء نقاشهما المباشر، أم من خلال زاويتها الأسبوعية التي تكتبها في مجلة (المرأة) لكنه يعتبر هذا الاختلاف في الرأي علامة صحة في العلاقة الزوجية، خاصة وأن هذا الاختلاف ينتهي بالإقناع.. لصالح أحد الطرفين.. دون حساسية أو شعور بالغبن.

سألها بعفوية:

- ماذا تقصدين بقولك إنني متهور أكثر من اللازم؟

- ألا تعرف ماذا أقصد؟ طبعاً أنت لست معي.. منذ جلسنا وهي تكاد تلتهمك بعيونها.. مؤكد أنك تعرفها.

وشعر كأنما صفعته بكلماتها، تطلع حيث أشارت برأسها.. هناك يجلس رجل وامرأة يتطلعان إليهما ويتحدثان بهمس..

- أتقصدين تلك المرأة إنها مع رجل، ولا أظنها تنظر إليّ، بل يخيل لي أنها تنظر إليك أنت.

- لا تتغابَ.. إنها تنظر إليك.. هل تخبرني ما صلتك بها؟ قل لي هل تعرفها؟

كان النادل قد بدأ في جلب الطعام، ورغم رائحته النفاذة.. لم تمتد إليه يده.. لأن المفاجأة شلت تفكيره.

- هل تمزحين؟

وبان الغضب على محياها:

- أنا لا أمــزح.. وأنــت دائماً تحرجني في مثــل هذه المواقف.

أراد أن يمتص غضبها فقال ممازحاً:

- (مادام معاي القمر.. مالي ومال النجوم).

لم تصغ لما قال.. بل زاد انفعالها، وتفوهت بكلمات قاسية، ثم انخرطت في بكاء صامت.. تطلع إلى من حوله فأدرك أن الجميع مشغولون بأنفسهم.. حاول أن يهدّىء من انفعالها، فلم يزدها ذلك إلا توتراً، تعجب لتردي الموقف بهذه السرعة المذهلة.. وزاد عجبه عندما رأى المرأة تترك رفيقها، وتتجه إلى حيث يجلسان وعلى شفتيها ابتسامة جادة.. وتوجس وقوع ما لا تحمد عقباه.. سارعت زوجته إلى مسح دموعها واستعادة هيئتها، وكأنما

هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.. وانهمرت الأسئلة في ذهنه:

ماذا تريد هذه المرأة؟ ماذا سيكون رد فعل زوجته لو دار بينه وبين هذه المرأة أي حديث؟ ما هذه الساعة المشؤومة التي قادته إلى هذا المطعم؟ كيف سيعالج الوضع إذا تطور الموقف وهما في مكان عام.

المرأة تقترب أكثر.. وقلبه يزداد اضطراباً، وعقله يزداد تشتتاً، وخيّل إليه أن أرض المطعم تدور به دون سواه.. اقتربت المرأة أكثر.. ازداد وجيب قلبه.. ولما أصبحت بقربهما.. مدت يدها.. ظنها ستصافحه وهذه بداية الكارثة. لكنها تجاوزته لتصافح زوجته، وتشد على يدها بحرارة وهي تتساءل بفرح طفولي:

- أنت الكاتبة كوثر جابر؟

كان السؤال آخر ما يتوقعه، فزوجته الكاتبة المشهورة في بلدها.. لم يظن أن شهرتها قد وصلت إلى المغرب العربي.. أجابت زوجته وقد بدت سحب الغضب تنجلي من سماواتها:

- نعم.. أنا هي!

هذا من محاسن المصادفة.. اسمي عيشة.. وأنا

قارئة معجبة بكل ما تكتبين.. خاصة زاويتك في مجلة (المرأة).. حصلت على مؤلفاتك بواسطة أخي.. ذلك الجالس معي، وهو يعمل في بلدكم.. هل تعلمين شيئاً؟ إنك في الحقيقة أجمل (بالزاف) مما تبدين في الصورة (ديالك) التي تنشر مع مقالاتك.

انفرجت أساريره بابتسامة عريضة، وهو يرى السرور على ملامح زوجته.. وتمتم بكلمات غير واضحة.. لكنه أراد أن يقول:

– ألم أقل إنها تنتظر إليك أنت؟

* * *

فاطمة السويدي

(الإمارات العربية المتحدة)، نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

المرفأ الوحيد

(1)

في كل يوم يمضي، كنتِ – ولازلتِ – تتوغّلين أكثر في نفسي، حتى غدت نفسي هي نفسك، لا تطيق الفراق عنك، فكيف يريدون أن تستلَّ روحك عني وتأتي أخرى لتحلَّ محلَّها؟!.

كنت الأرض التي تؤوي تعبي وضجري

وسعادتي، والنافذة المشرقة التي أطلُّ منها على وجه الحياة الضاحك، كنتِ الجمال والرقة والعذوبة الممتزجة بالنقاء والمحبّة والمودّة الخالصة، فكيف يطلبون أن أنساك؟

كانت الوحدة تمزقني قبل أن تظللني سماك، تأكلني كلَّ صباح وتزداد حدّتها في هدأة الليل الحزينة، وعندما تفرش الشمس نورها على النهار، أتذكّر أن عذاباً جديداً يزحف على أقدامه، آتٍ إليَّ بقساوة، يتنفّس الصبح وينطلق النّاس إلى أعمالهم، وأنطلق – أنا – إلى مقاومة هذا العذاب، أتكىء على سيارتي لأذهب إلى العمل المكتبي، هناك أجدُ بعض الراحة في عمل تصاميم مدينة لا تتكوّن إلاّ على الورق، أحببت الرسم وكان الملاذ لباحة صغيرة من الفرح.

وحين أتيتِ تطرقين بابي الموصد بالتعب، فإذا به يفتح لأول مرّة، فدخلت نسماتكِ الحانية فأدفأت أرضي الباردة، لم أكن أدري أن في الحياة فرحاً كمثل ذلك الفرح، كيف لقلبٍ أن يترك الفرح بعد أن قفز إليه حبواً فمشياً فركضاً؟ !، أويتُ هذا الفرح في الدار سنين طويلة من الحبِّ والألفة، ولأنّك لم تختاري الفراق يوماً، بل هو الذي

اختارك بقيتِ القنديل الذي يضيء القلب، منذُ ثلاث سنوات ولازالت، وأيَ عصر قادر أن يستلكِ من نفسي المشغولة بكِ دائماً؟!

قبل تلك الليلة، قلت:

"ماذا تفعل لو متٌ يا عبدالله؟

– لماذا تفكرين بالموت في هذه اللحظات الحلوة!!

دخلتُ في الصمت وطأطأتُ رأسي، ومادت الأرض بي، لماذا تباغتنا الأحزان هكذا حتى في لحظات الفرح القصيرة؟!

قالت علياء: عبدالله، أنا هنا، لكني شرود.

(2)

في تلك الليلة، الليلة الأخيرة، كان الوطن يجمعنا تحت ظلاله الواسعة، كنّا نذوب في نعمته الرائعة، تنقّلنا في أماكن عدة، عدنا صغاراً، نمارس اللعب والجري بحيوية ونشاط كبيرين، نقطع التذاكر، ونصطف قرب الصغار انتظاراً لدورنا في اللعبة.

قلت لها: تأخر الوقت، وغداً السفر.

- ما أجمل السفر يا عبدالله.

ظلّتْ علياء يقظة طوال تلك الليلة، تملؤها فرحة السفر حتى انتزعت النوم من أجفانها، غفلتَ، فنمتَ ساعة، فتحتَ عينيك، كانت جالسة بقربك.

قلت: لماذا تركتني أنام؟

- كنتَ متعباً، أردت أن ترتاح من شقاوتي.

* وأنا أحبُّ هذه الشقاوة.

تلفتَّ حولك. كان كلّ شيء مُعدّاً للسفر.

قالت – قم أيها الكسول.

سمعت صوت سيارة أخيها/ سلطان، نهضت مسرعةً إليه.

* هيا، علياء، أخبىء لك مفاجأة في بيت العائلة، بلّغي عبدالله أن يأتي خلفنا، أنا على عجل.

- عبدالله لا تتأخر، نتقدّمك – أنا وسلطان – إلى بيت والدي.

خرجت مسرعاً، وكعادتك، تأخرت بعض الوقت، وانطلقت، غريب هذا اليوم والشارع فارغ من النّاس

والسيارات، الهدوء يرسم لوحته الشفافة من حولي، أين الازدحام الذي اعتدتُ أن أراه في هذا الوقت؟! هل أدركوا أني مسافر، فأخلوا لي الطريق؟

مسكن العائلة، وجدت بابه مفتوحاً، الهدوء حتى هنا، يغرسُ شجيراته الطويلة بقوّة، وكأنّه الجدران الواقية من قيظ الصيف، أين حرارة الاستقبال؟!، أين العائلة؟ أين علياء وسلطان؟ لماذا هذا الهدوء ينسج غلالته السوداء حولي؟!

صحت عمي، عمتي!

ارتد إليك صدى صوتك، داهمتك الحيرة، وبدأت تلفُّ خيوطها حول رقبتك.

أين ذهبوا؟ هل مفاجأة سلطان تتطلب هذا التأخير؟

ربّما!

وإذا بخطوات أقدام تمشي ببطء تقتربُ منك، ذهلت، وجهه شاحب، يشيرُ بمرارة، وكأنّه ليس الفتى الصغير، الممتلىء بالعافية، تسمّر في مكانه حين رآك، ارتعش جسده، وتداعى على أقرب كرسي، وغرق في بكائه، سألته:

* ماذا بك؟ أين علياء وسلطان؟!

هززته وسألته ثانية:

* تحدّث يا أحمد، ماذا حدث؟ هل حدث شيء لعلياء؟

انطلقت كلمة واحدة وانطفأت: - إنها بالمستشفى!

صرختَ:

* ماذا تقول أيها المجنون؟ لماذا هي بالمستشفى؟! وفي أي مستشفى هي إن كنتَ صادقاً؟

قال : الفلاح.

حاصرك البكاء في عيون والديها، جمدت في مكانك كالشجرة، أشاروا بأصابعهم إلى غرفتها، دفعت الباب بجرأة، انتبهت الممرضة:

- ابتعد من هنا، حالتها خطيرة، الطبيب يحاول إنقاذها.

لكنّك لم تكن قادراً على الابتعاد، دفعت الباب ثانية بقوّة أكبر، أشار الطبيب إليك، بأن تجلس في هدوء، رأيتها ممددة على السرير.

كيف أصبحت هكذا يا جميلتي؟!، رأيتها تحدّق

بك، وكأنها تطلبُ شيئاً، اقتربتَ منها. قال الطبيب بعدما التفتَ إليك: - إنها تحتضر.

هل يغتالك الموت منّي؟ لا تتركيني وحيداً، أبقي معي أرجوك.

لمستَ وجهها الذي فارق دفق الحياة، وصرخت:

* إنّها حية ولن تأخذوها مني، تشبثتَ بها كغريق فقد طوق نجاته!. بكيتَ وتشبثتَ بها أكثر، نجحوا في إخراجك من غرفتها.

بقيتُ شهوراً طويلة مريرة، لا أدرك شيئاً سوى الهذيان بها.

والآن بعد ثلاث سنوات مضت، لازالت تحيا بداخلي كالأمس، يريدون أن يستلَوكِ من نفسي المشتاقة إليكِ.

أمي تقول:

* تزوّج يا عبدالله، لقد كبرت.

وصديقي الوفي (إبراهيم):

* أنت بحاجة إلى امرأة تعتني بك.

لازلتُ أحيا بصوتها الذي صار في مسمعي بيتاً جميلاً، فكيف أطلبُ بيتاً غير صوتها؟!

* * *

عائشة
محمد
الزعابي

عائشة من دولة
الإمارات العربية

الملابس الحمراء

جلس على سريره المتصلب في تلك الغرفة الضيقة العفنة.. بلا حراك. كان وجهه جامد الملامح كصدى لروحه فاقدة الحياة.. كان ينظر إلى بقعةٍ صغيرةٍ على الجدار المقابل.. كانت تلك النقطة السوداء ذروة اهتمامه وكأنها مركز العالم.. أطاح برأسه إلى الوراء مرتكزاً على ظهر السرير.. حدق في السقف وأخذ يرسم في خياله صوراً – أشكالاً وخيالات لأشياء يعرفها – لأناس قابلهم – لوجوهٍ مرت في دفتر حياته.. فجأة..

أغمض عينيه عن عينين وجدهما تحدقان به من خلال طيفٍ رسمه.. لكن هاتين العينين لاحقتاه في الظلمة الناتجة عن إغماض عينيه.. فتحهما عن آخرهما وأخذ يحرك يديه أمام وجهه عله يطرد العينين وذكرياته معهما...

نهض من مكانه وأخذ يذرع الغرفة الصغيرة ذهاباً وإياباً وكأنه ماردٌ حبيس قمقم يريد أن ينفث حمم كآبته... لكن لا سبيل لذلك. فقد حاول مرة أن يقضي على مصدر غضبه وألمه ودفع لتلك المحاولة ثمناً باهظاً – ولايزال يدفع –

ارتكز برأسه على الجدار البارد عساه يخمد شيئاً من النار المضطرمة بروحه... أخذ يضرب الحائط بقبضتيه وهو يتمتم بقسوةٍ والألم يقطر من عينيه:

– لماذا؟ لماذا؟

لم يكن في تلك الغرفة غيره ليجيب تساؤله – كما لو أنه كان في حاجة للإجابة – كانت طواحين الأسئلة والأفكار تعصر مخه حتى كاد رأسه ينفجر.. أخذ يضرب به الحائط بعنف وكأنه يريد أن يحطم قيود تلك الأفكار التي تحاصر عقله وتكاد تفتك به...

ارتمى على السرير ثانية ودفن وجهه في عمق الفراش عله يختنق ويموت الآن ويريح روحه وكل من ألحق الأذى به.. حينما أحس بالاختناق ونقص الهواء، ضغط على رأسه بقوة أشد عسى أن يتخلص من هذا العذاب... لكنه انتفض فجأةً صارخاً بصوتٍ متحشرجٍ وهو يلهث بعمقٍ كمن خاض حرباً ضروساً، وانزوى في ركنٍ مظلمٍ من الغرفة وهو يلف ذراعيه حول جسده... فقد رأى في عمق فراشه – وبينما هو يرتحل عن هذا العالم – تلك العينين ثانية وهما تنظران إليه بسخرية كبيرةٍ وكأنهما تدعوانه للتعجل في التخلص من حياته... دفن رأسه بين كفيه وأخذ يبكي بصمت وهو يردد نفس التساؤل:-

- لماذا؟ لماذا؟

سأله أحدهم:

- هل هناك ما تريد قوله أو توصي به قبل تنفيذ الحكم؟

تمالك نفسه وهز رأسه نفياً.. فقد ترقب هذه اللحظة كثيراً بفزع جسيم وكان يتوقعها في كل لحظة وها قد حانت وهو يريدها أن تنتهي.. لينتهي معها عذابه... لُقّن الشهادتين... صعد به إلى المنصة وهو مغمض العينين... كانت عيناها تتراءى له وهي تبتسم بسخرية كبيرة كما سخرت منه في حياتها بعد أن تزوجت بأبيه

وأذاقته من العذاب صنوفاً كان آخرها هو الفيصل حينما وجدها في مخدع أبيه مع شخص آخر... خائنة... يستحق كل منهما الموت... لو كتبت له العودة إلى الوراء لقتلهما معاً ألف مرة أخرى ولانتقم لشرف أبيه الميت... هذا ما كان يردده لنفسه وهو يطلق النار عليهما بعد أن أسرع لغرفته وأخرج منها مسدسه القديم الذي كان يحتفظ به في دولاب ملابسه، وكان قد اشتراه من أحدهم ذات يوم ليتباهى به أمام أفراد مجموعته التي كان يتسودها فيما مضى.. وها هو بعد أن كبر ويعود من سفرته الطويلة في الخارج ناجحاً وليس كما كانت تصمه بالفاشل... يجد أباه قد توفي وهي في أحضان شخص آخر... ولكن كيف كان له أن يعلم بأنه زوجها الذي ارتبطت به بعد وفاة أبيه بأشهر قليلة... لم يستوعب عقله وجود رجل آخر في منزل والده فكيف وإذ به في فراشه... لكنه القدر الذي أودى بحياة ثلاثة أشخاص دفعة واحدة نتيجة لترسبات الماضي.

وهكذا... أخذ نفسه الأخير قبل أن يغطي رأسه بغطاء أسود ويتدلى جسده من حبل المشنقة وهو بملابسه الحمراء.

* * *

نادية الكوكباني

(اليمن). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

مزحة

صباحاً.. كعادتها تبدأ زوجتي في مناداتي "استيقظ" "هيا تأخر الوقت، لن تتمكن من اللحاق بباص الثامنة" ومن ثم توقظ كل ما في الحجرة.. نوافذها، ستائرها، سجاجيدها المتناثرة، كراسيها المهترئة، تهندم غطاءها المتثائب ونــزع عن جسدي غطاءه وتغادر.

فتحت إحدى عيني لأتأكد من خروجها وقفلتها سريعاً.

عادت تتقافز أمامها رائحة القهوة:" "ألم تستيقظ بعد؟ هل تريد المزيد من الحسميات؟!"

بدأت تشدني من ذراعي لأنهض وهي مستمرة في سيرها تركتها فتدلت على حافة السرير "يا إلهي، ماذا بك" دوت صيحتها، أكلت خطواتها البطيئة بقفزة نحوي، ربتت على خدي، فتحت عيني، قبلتني على كل الجهات، جست زفيري المكتوم، ودوت صيحة أخرى "م.. آ.. ت.. زوجي مات" هرولت مستغيثة تتطاير دموع أحداث انهمارها دوياً مروعاً على أرض الغرفة.

ها.. ها.. لقد أجدت التثعلب، ولم يعد أمامي سوى التلذذ بالخطوة القادمة، وأعلم جيداً أنها فكرة خرافية زينتها لي شياطين هواجسي المستعمرة لكنها الوسيلة التي ستجعلني خارج دائرة الكد المغلقة التي تجذبني إليها كلما حاولت الخروج منها لالتقاط أنفاسي بعيداً عن التفكير في متطلبات زوجتي وأولادي بعيداً عن تذمرهم المستمر وملاحقتهم لي بنظرات اتهام بالتقصير.

لم أستطع التخلّص من شعور طغى على مساءاتي الأخيرة بأن وجودي كعدمه مادامت متطلباتهم مستوفاة دون أدنى اكتراث للسؤال عن كيفية وصولها حتى بعد اضطراري للعمل لفترة إضافية إلى جانب راتبي الحكومي

المتواضع. أسرعوا جميعهم نحوي.. صعقهم جسدي الملقى على السرير دون حراك، تلاحقت أنفاسهم الفزعة محدثة صهيلاً تردد صداه في أرجاء المكان.

ترى ماذا يدور في خلجاتهم المستقبل الذي قد تكبر همومهم فيه بدوني، حرضتني شياطيني بإلحاح للإستمرار في هذا السخف وليكن ثمن حرية الـــ.. آه.. التي اعتقلتها سنين طويلة بين حائط قلبي حتى لا تسبب لهم أدنى ألم أو تعكير لصفو حياتهم التي سعيت أن تكون رغيدة رغم هجوم الأمراض علي في السنوات الأخيرة. خرج ابني البكر مسرعاً لإحضار الطبيب بعد أن تمتم بعبارات لم أفهمها نتيجة العويل والصراخ الذي بدأ يخيم على المكان قبل أن تخليه زوجتي انزوت في ركن تتبادلها نوبات بكاء هستيرية تسترجع فيها جميل أيامي معها تارة وتؤنب جنونها تارة أخرى على ملاحقتها لي والتمتع بإغضابي وتنغيص لحظات صفوي التي كنت أستجديها من الحياة، دخلت ابنتي الوسطى على أطراف أصابعها جثت على ركبتيها إلى جواري بللت دموعها يدي انهمرت قبلها الدافئة عليها: لا يأبي من غير الممكن أن تترك جوهرتك الغالية".

يالقسوتي.. ألم يكن من طريقة أخرى أنفذ بها

حماقتي غير هذا الألم الذي يتقاذف ممن أحب لم لا أخنق هذا الجنون وأنهض لأضمها بين ذراعي، هيا.. قبل أن يأتي الطبيب ليكشف مزحتي ويعريني أمام أسرتي التي جاهدت لغرس مبادىء مثالية في قلب كل واحد فيها على حساب صحتي التي استترفتها مشاكلهم وهمومهم وطلباتهم.

قطع جرس الباب حواري العقيم.. خطوات تقترب مني صوت يتدحرج نحوي: "افعل ما بوسعك" دنت الخطوات مني أكثر.. سأنهض قبل أن يتعاظم ذنبي في عقولهم وقلوبهم عندما يخبرهم الحقيقة.. دنت الخطوات أكثر.. أكثر "هيا انهض؛ تكلم، اعترف وليكن ما يكن".

يا إلهي ما بال جسدي لا أستطيع الحراك.. توغلت شرايينه فرشه.. خشبة.

تجذر في الأرض.. استسلم انتهى دثر لحافي جسدي، وجهي ومن خلفه تردد صوت كالصوت.

البقاء لله..

* * *

عبد اللـــــه سـالـم بـاوزيـــر

من مواليد اليمن 1938. صدر له الرمال الذهبية 1965، ثورة البركان 1968.

اصح يا نايم

لم يكن لي منذ حللت المكلا ضيفاً على أحد الأقارب إلا أياماً قليلة، عندما رأيته بجانب داره يقطّع كتلة من الخشب إلى قطع صغيرة، رجل يسير إلى العقد الخامس بسرعة مذهلة فقد اشتعل معظم شعر رأسه بالشيب واحدودب ظهره في غير أوانه، لعل ذلك من ثقل خطوب الأيام، مررت أمامه وألقيت عليه نظرة عابرة وسرت في طريقي، لكنني توقفت لأستمع إليه، وهو يخاطب شخصاً غير مرئي.

- أوو.. وزير قم، الساعة وحدة وأنت نائم: كان يتحدث بلهجة مكلاوية سافرة لست أدري لمن يوجه حديثه ذلك، لكن مكانه أمام نافذة صغيرة أوحى لي أنه يكلم شخصاً نائماً بالغرفة التي أمامه، فشدني فضولي لأعرف من هذا الذي يلقبه بالوزير، عدت، وألقيت عليه السلام، رد السلام دون أن يلتفت إلي وهو منهمك في عمله وواصل حديثه:

أوو.. دولة، العالم كله نهض وأنت لك ساعات نائم عاد حد ينقذك؟

دون تعارف أقحمت نفسي عليه وقلت:

- من هذا النائم الذي تسعى لإيقاظه؟

قال في صوت خافت:

- ابني:

شجعتني إجابته فاخترت لي مكاناً نظيفاً وجلست بجانبه وقلت له:

- ابنك لن يكون إلا نتيجة تصرفك معه، إن ربيته وعلمته أسعدك وأسعد نفسه، وإن قصرت في تربيته ضاع.

نظر إلي في غضب وقال:

- لقد ربيته وشقيت حتى علمته، ودخّلته شغل في الحكومة ما يحلم به طول عمره.

- إذاً ما هي المشكلة؟ ولم هو نائم حتى هذه الساعة؟!

- من يوم ما انتشر هذا البلاء في البلاد، ما عاد نشوف منه حتى ريال واحد، ومشاهرته يضيع بوها كلها في القات، ويجي لنا آخر الليل وينام لمان الظهر، وإذا قام ملا شواه بصحن رز من عرقي وشقاي.

قال هذا ورفع يده اليمنى إلى جبهته يمسح ما تجمع عليها من العرق.

قلت:

- وعمله؟

- يوم يروح ويوم ينام..

- والإدارة كيف تسكت على وضعه الغريب هذا؟!

نظر إليَّ متحفزاً وقال:

- قم من هنا، وإلا باعطي بوك رمحه عاد حد يشتغل هذه الأيام، نص موظفي.. الدولة نيام في ديارهم.

وخفت أن يضربني حقيقة، قمت ولكنني لم أغادر المكان، ابتعدت عنه قدر ثلاث خطوات، وانتظرت لحظة حتى عاد الصفاء إلى عينيه، قلت:

- وأمه ألم تردعه عن مضغ هذه الأوراق المدمرة للصحة والمال وللحياة بكاملها؟

ثار في وجهي ثانية وقال:

- كل السبب منها ساكتة عليه حتى أفسدته، اليوم الذي تخلص فيه مشاهرته تعطيه من مصروف البيت، وإذا ما حطت شيء سرقها.

وما إن وصل إلى آخر فقرة في حديثه، حتى زادت ثورته حدة وقال:

- ولكن خل بوها...، تستاهل كل الذي يجري لها، قبل أسبوع سرق خاتمها الذهب، كنزها الذي ورثته من أمها وباعه، وسكتت بكرة بايبيع بوها من شان القات.

فجأة نهض حاملاً فأسه ونظر إلي في عداء وقال:

- وانت إيش دخل أمك، بتروح من قدامي وإلا باعطي بوك ملا راسك بالفأس.

هرولت هارباً من أمامه ولما التفت خلفي رأيته يعود إلى عمله، فاطمأنت نفسي، عدت أسير في خطوات طبيعية وقد ترامى إليَّ صوته من الخلف بنبراته الساخرة:

- أوو.. دولة لمان متى نوم؟!

* * *

أسماء الزرعوني

(الإمارات العربية المتحدة)، شاعرة، أصدرت مجموعة "همس الشواطىء" (1994)، مجموعتها "الشواطىء الفارغة" تحت الطبع.

الشواطىء الفارغة

جلست على مكتبها الصغير في ركن غرفتها المهجورة بين كومة الكتب والكراسات تحيطها أقلام وأوراق مبعثرة وخطوط تحاول فك رموزها بين الحرف والمعنى تاهت طويلاً وهي تحمل في ذاكرتها ثرثرة المعلمات في المدرسة.

إحداهن تتغزل في زوجها، الأخرى تعترض على كل شيء وتمقت اليوم الذي ارتبطت فيه بهذا الرجل، صورة عبير تفرض نفسها في مخيلتها وهي تتمايل

كعارضات الأزياء أمامها وتنسج كلماتها على أوتار الرقة ممزوجة بالدلال وهي تتحدث مع خطيبها عبر الهاتف النقال تارة تعزمه على فيلم في السينما وتارة على أحد المطاعم الراقية، وماذا عنها هي؟ إنها تنتظر المجهول القادم من بريطانيا، القلق يفترسها ويكاد أن يفضح أمرها. العنوسة بدأت تقترب منها وهي في انتظار ابن عمها الذي ارتبطت به منذ الطفولة بعد أن زرعوا في قلبها حبه فهي لابن عمها ها هي تدفع ضريبة الانتظار.

كان المساء قادماً من أعماق المجهول أنثى تتجلى فيها أهداب الزهر وشفافية الألوان.. ألقت برأسها على كومة الكراسات وهي تحاول أن تسرق حلماً يشغلها.. تعانق الحلم.. الفستان الأبيض.. دق الطبــول.. الموسيقى والألحان.

نباح الكلاب يمزق ستار الليل يوقظها من حلم طال انتظاره في عالمها، لابد أن تنام فيومها متعب بين الأوراق واستهلاك الكلام. يجب أن تنام فالكل يستسلم للنوم في هذه الساعة، تحرك جسدها المتعب وتسرح في عتمة الليل مرات ومرات كلما جاء الليل تستهلك عمرها في الذكرى لقد سجنت نفسها في حبها الواهم وأغمضت

عينيها عن كل الرجال فلم تر سوى صورته المبروزة في أجفانها.

- أيام قليلة وسأنطلق وأستقبل الفرح سأهجرك أيتها الغرفة الفارغة وسأترك فيك بقايا أحلامي.

سلمت نفسها لسلطان النوم ولم تستيقظ إلا على صوت الساعة ليعلن لها عن قدوم الشمس التي اقتحمت الفضاء.

أسرعت إلى دولاب ملابسها. لقد ملت من هذه الملابس. تريد أن تغير.. نعم تغير كل شيء في حياتها. سحبت فستاناً مطرزاً ووقفت أمام المرآة - اليوم سأغير طريقتي في اللبس سأجرب هذا الفستان الضيق وأزيد من المكياج وقفت في مكانها وهي تتذكر ثرثرة المعلمات، كيف لها أن تتحمل النظرات والغمزات. تراجعت عن رأيها ولبست كالعادة البدلة الرمادية وحملت حقيبتها المتكدسة بالكتب والأوراق لتقضي يومها في أروقة المدرسة بين المعلمات والتلميذات وقصص المديرة التي لا تنتهي.

- دفتر الدرجات يا شمسه.

- الخطة السنوية للمنهج.

- الاجتماع في الفسحة، أريد تجديداً وابتكاراً.

لقد ملت هذه الأوامر وملت مشوار حياتها اليومي لولا ابتسامة التلميذات لما تحملت هذه المديرة بوجهها العابس من أين تجلب لها البشاشة؟ فهي لا تعرف سوى إعطاء الأوامر إنها تحتاج إلى دروس في فن التعامل والعلاقات الإنسانية، كل مرة تحاول أن تتفادى نظرتها المليئة بالأنانية.

وقفت في فصلها ومسكت بالقلم لتكتب على السبورة تاريخ اليوم وفجأة تسمرت في مكانها لا تعرف ماذا تفعل وكيف تتصرف؟ أيعقل أن تتسى وكل هذه السنين وهي في انتظار هذا اليوم، خرجت مسرعة نحو غرفة المعلمات تبحث عن هاتفها المتحرك انزوت في ركن الغرفة.

الخجل يسرق كلماتها ماذا تفعل لكي يتلاشى الحنين الذي يسكنها جمرة الانتظار يحرقها بصوت متقطع تغلبه الرعشة.

- عماه هل ستذهب إلى المطار؟

- بالتأكيد يا شمسه هل ستأتين معي؟

انتزعت الكلمة من أعماقها.

- بالطبع يا عمي.

- إذن انتظريني على الساعة الخامسة.

تتسع الطرقات من حولها وهي تحاول أن تستمد من مخزون الصبر الذي كاد أن يتسرب منها لقد فرغت شواطئها خلف متعرج السؤال الحائر في أعماقها.

- لابد أن البطارية ضعيفة لم تتحرك العقارب يجب أن أبدلها.

تنتظر في ساعة معصمها هل هي الأخرى بطاريتها ضعيفة؟ أفرغت مخزون السنوات. لا تستطيع أن تتحمل هذه السويعات وبطأها القاتل، هبت كالمجنونة على بوق سيارة عمها، خطواتها تسبق الريح ألقت بنفسها على المقعد وهي تحسب الثواني والدقائق، بعد المسافة إلى المطار يتعبها.

وقفت وعيناها تحملق في كل الركاب تبحث عنه بكل جوارحها، تشاهده من بعيد تحملها الريح إليه أرادت أن تلقي بنفسها في أحضانه لولا الحياء وعيون الناس.

تعانق سلطان مع والديه عناقاً حاراً ابتسم لشمسه وهو يمد يده ليصافحها.

- آسف لقد نسيت أن أعرفك على زوجتي وابني خالد.

* * *

أميرة الزهراني من (السعودية) نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

الزنزانة

لو لم تكن المدرسة لأيقنت أن بيتنا قد استحال إلى زنزانة تكتمل ملامحها الفطرية في الإجازات حيث تنعدم مبررات الخروج، بعد أن قررت أمي بيع سيارة والدي الراحل في دراسة مستفيضة للموقع الجغرافي لبيتنا الذي تحيط به كافة الخدمات وقرارها هنا يعد واحداً من قراراتها الجريئة الصادرة عن حنكة وتجربة تدعيها دائماً في مناقشاتها القليلة معنا، بعد أن شربت من كأس الحياة حتى الثمالة ومرت بأطوارها الطبيعية.. فتاة، امرأة، أم،

ثم أرملة مسؤولة عن رعية، لكن قرارها الأخطر هو اعتقادها بأن الدنيا ليست المكان المناسب للحياة!! وقد جرفتنا معها لنعايش قرارها الأخير دون حساب السنين التي تفصلنا، ذلك أنها الأكبر والأعلم فليس ثمة احتياج لنخوض التجارب ذاتها التي خاضتها مادامت ستقدمها لنا في صورتها النهائية. وكنت حين أراها مستغرقة في التفكير؛ أجزم بأن ما يشغلها هو إعداد وجبة للغد!! إذ كانت ترانا بخير مادمنا نأكل وننام قريباً من عينيها. وكانت سلوتي الوحيدة من هذا الأسر المضني، خلوتي بأختي في غرفتنا المنزوية بعيداً عن ضجيج إخوتي الصغار الذين يتقافزون في مطلع كل نهار فوق ما يعترض طريقهم كالجان المستنفرة حتى لو كان الذي يعترضهم ظهورنا!! فيحيلون حياتنا بذلك إلى ورشة عمل. كنت وأختي ندبر الحيل التي تمكننا من الاستمتاع بالخلوة بمفردنا دون أن يداهمنا أحدهم، كأن نطفيء ضوء الغرفة أول الليل فتتسلل إحدانا بعد مضي وقت غير قصير لاستطلاع الموقف، فإذا ما تأكدت من استغراق الجميع في النوم أشعلنا الضوء مرة أخرى منتشين كمن أنجز عملاً جباراً.. ولم تكن حيلتنا تحقق نجاحاً في كل مرة، فقد يتربص بنا أحد الصغار مختبئاً في إحدى زوايا البيت

فيباغتنا بحضوره وبأنه قرر إيصال الليل بالنهار، فنتظاهر أمامه بالنوم لنغريه بالمبيت فيغلبنا النوم حقيقة وهو مازال بعد يقظاً!! كل ما في الأمر أننا في حال إحرازنا نجاحاً؛ نثب مباشرة إلى المطبخ فنحضر كوبين من الشاي ونتسامر مع التلفاز كأننا نوهب الفرصة لأول مرة.. وقد يكون ما يبث أمام التلفاز باهتاً لا يستحق عناء المتابعة، أو قد يكون الإرسال قد أوشك على الانتهاء لكننا على الرغم من ذلك كنا نستمتع وكأننا أمام شاشة عرض سينما لفيلم محفز على المتابعة والإثارة.. حتى الأحاديث التي تدار بيننا قد تكون مكرورة أو ليست ذات أهمية، لكن الأمور التي تجري في الخلاء بعيداً عن أعين الخلائق تعطي للحوادث مذاقاً خاصاً.

في إحدى أمسياتنا التي لا تنسى طرحت أختي سؤالاً تبدي فيه ثلاثة اقتراحات مجدية يمكن أن يكون لها الأثر إذا ما تحققت في خروجنا من رتابة الزنزانة التي أحاطتنا بها ظروفنا.

وكان اقتراحها الأول: أن يرتدي جميع من في البيت أقنعة لإحداث بعض التغيير في الشخوص من حولنا.. والثاني شراء سيارة جديدة مع سائق... أما الثالث: فهو الرحيل من الدنيا التي ترى أمي أنها المكان غير

المناسب للعيش. كانت اقتراحاتي على التوالي: الزواج أولاً وثانياً وثالثاً؛ ذلك أني أحب الحياة ولست على استعداد للإستسلام بتلك السهولة التي تراها أختي.

ولأن الأمور لا تسير إلى صفنا وفق قناعاتنا التي نؤمن بها؛ فقد رأيت أمي في إحدى الصباحات الباهتة تنزوي بأختي في أحد أركان البيت، وتسر لها بحديث من تلك الأحاديث التي تسرها الأمهات لبناتهن، فنهضت متوجسة وحين اقتربت لمحت أختي تبتسم في خجل، وأمي تشير بحديثها إلي بأن العقبى لي!! ولست بحاجة لأن أكمل لك ما الذي يعنيه ذلك. فأختي قد خطبت إلى رجل كثير الأسفار، وكان عليها أن تعد نفسها للزواج سريعاً لاصطحابه في تنقله وتوقعت أنها ستعلن رفضها مباشرة، إذ كيف تتركني بمفردي وهي تعلم حاجتي إليها؟ لكن ابتسامتها الدائمة وخروجها مع أمي كثيراً للتبضع مع بقائي في البيت لحراسة إخوتي الصغار ينبيء عن غير ذلك!! ولم أكن لأستوعب حتى الآن فكرة رحيلها دوني.. ولا تلك الحياة التي ستغدو من بعدها كئيبة حين يخنقني الضيق والضجر فتتلاشى عندها الرغبة لدي في الكلام..

في إحدى المساءات رأيتها من تحت الوسادة وأنا أتظاهر بالنوم تقيس ملابسها أمام المرآة منتشية وأمي

تقبلها ما بين تبديل فستان وآخر.. ثم هرعت أمي بالخروج حالما رأتها تمد يدها إلى مجموعة تلك الملابس التي لا يراها إلا الأزواج وفي ظروف خاصة، فحانت منها التفاتة إليّ وكأنها للمرة الأولى تنتبه لوجودي منذ أن خطبت، وكانت تنتظر مني الانصراف أيضاً.. فانصرفت قبل أن تصرح بذلك وأنا أشعر أن قبولها الزواج ورحيلها من البيت خديعة لي.. أو هكذا يبدو الأمر! إذ يكفي أن تنال من قناعتي حين رأيت أن الزواج هو الحل الوحيد لخروجنا من هذا المأزق وكانت هي ترى غير ذلك.. وقد كنت كما الكثيرين أرى أن مما يخفف شقاء المرء هو أن الآخرين ليسوا بأسعد حالا منه.. حتى وإن كان الآخرون "شقيقته" لكننا لا نجرؤ على التصريح بذلك حتى لا نوصم بالحسد وهو أقل شيء يمكن أن ينالنا.

وبدأت أشعر بالقلق كلما اقترب موعد الزفاف، وفي كل يوم أتوهم بأن سيعلن قرار الإفراج عن أختي، لكن مجريات الأحداث تسير بدقة متناهية وأمي تتابط ذراع أختي كل مساء إلى السوق، ولما لم يحدث أي تحولات قررت الإضراب عن الطعام أياماً متتالية، كما يفعل الناس حين يغتصب حق من حقوقهم فيمتنعون عن تناول ما يبقيهم على الحياة ليبرهنوا أن حصولهم على ما منعوا منه يوازي حصولهم على الحياة.

وكنت أرى أن حرماني من أختي حرمان من الحياة، فعلت ذلك كالبليد حين يشعر بعجزه عن تحقيق أمر ما لكنه لا يصرح بذلك العجز.. وعندما لم يجد الأمر؛ باغتتني فكرة صبيانية وهي أن أنقض على هذا الرجل الذي زاحمني عليها وجذبها إليه بقوة، كما ينقض الصغير بشراسة متناهية على من يود أن ينتزع منه أمه!! أردت أن أصرخ في وجه الجميع بأن من حقي رفض هذا الزواج لأني أرفض تبعاته؛ صعب تخيل حال اثنين صحبا بعضهما مدة طويلة في السجن، ثم رحل أحدهما فجأة دون أن يمهد للآخر فجيعة هذا الرحيل.. كيف ستحل الكارثة؟

وحين حان موعد الزفاف تعللت بالمرض حتى لا أراها وهي ترحل بعيداً عني، ولم يكن أمر غيابي يثير انتباه أحد، فالحوادث الصغيرة لا تمنح اهتماماً أثناء الأحداث الفاصلة كالزواج.. لكنني فوجئت بأختي آخر الليل تجيء إلى البيت لتودعني قبل أن تسافر. فبكيت وأنا أحتضنها وقد راودتني بجدية فكرة شراء أقنعة لكافة أفراد البيت!

* * *

هيـــــــام المفـــــلح

(السعودية)، أصدرت مجموعتين قصصيتين: "صفحات من ذاكرة منسية: (1989)، "الكتابة بحروف مسروقة" (1999).

مجرد كلب!!

هامش:

"أن نحب كل شيء.. وكل شخص، وأن نضحي دائماً من أجل الحب: يعني أننا لا نحب أحداً.. وأننا لا نحيا الحياة الدنيوية بخيرها وشرها"!

ليون تولستوي

* * *

استتزفني كثيراً هذا الكلب المشاكس!

كل يوم يقف تحت شرفة نافذتي.. يظل ينبح وينبح دونما سبب!

لماذا شرفتي بالذات؟

هذا السؤال ما وجدت جواباً له حتى هذه اللحظة!

ربما لأن شرفتي جميلة جداً ومتميزة عن باقي الشرفات. أفتخر بها دائماً لأنني دفعت ثمن بنائها وتميزها من سنوات عمري وعقلي الشيء الكثير!

ولكن لماذا يحاول هذا الكلب الأحمق أن يحوّل تلك الروعة وذاك التميز، إلى ذنب يعاقبني عليه؟

أنا رجل مسالم إلى أبعد الحدود.. أحب كل الناس.. وكل شيء.. وفي سبيل هذا الحب أضحي بأشياء كثيرة تخصني، وتعز عليّ. فداء لهذا الحب الواسع!

لذلك لم أشغل فكري بأسباب نباح ذلك الكلب وتقصده إياي. وعمدت، كعادتي، إلى شيء من التضحية وذلك بإلقاء عظمة له كلما نبح باتجاهي.

كانت العظمة تسكته حيناً قبل معاودة المجيء والنباح ثانية للحصول على عظمة أخرى!

استنزفتني هذه التضحيات كثيراً لذا:

قررت أن لا ألقي إليه، هذا اليوم، بأية عظمة!

لم يسكت أبداً.. كانت نظراته الحاقدة لي تطالبني بما تعوّد مني.. ولأنني، كما أسلفت رجل مسالم، أشفقت عليه من حقده نحوي!

فكرت بطريقة أخرى أكسب بها وده.

قلت في نفسي "لعل في ملامستي له والتربيت عليه يجعلانه يكتشف طيبتي فيأنس لي ويكفيني شر ملاحقته لي".

نزلت إليه.

لكن غضبه وحقده كانا أكبر من محاولتي الطيبة تلك.. فعضّ كفي الممدودة له!

فارقتني سماتي المسالمة لحظتها، وفقدت اتزاني، وأصابتني عدوى حقده.

لم أقاوم رغبتي بالثأر منه، أهكذا يكافئني على طيبتي معه وسكوتي على إزعاجه المستمر لي؟.. أيها الكلب.. العين بالعين والسن بالسن، والبادي أظلم!

ركضت خلفه محاولاً الاقتصاص منه على فعلته. وهو يركض وأنا أركض خلفه، فجأة..

شعرت بالخجل حين ومض في ذهني ما قاله – غاندي – مبرراً عدم تصديه لأعدائه.

"لن أقضي حياتي راكضاً وراء كلب لأعضه كما عضني"!!

ندمت مرتين:

مرة حين نزلت إليه، ومرة حين ركضت خلفه"!

قفلت راجعاً إلى غرفتي.

هدوء غريب تلبسني.. وطمأنينة حانية حضنت روحي.

عاد نباح الكلب المسعور يتفجر تحت شرفتي.. أهملته.. تعالى.. وأهملته!!

تمددت في سريري ملتحفاً هدوئي وطمأنينتي.

"إذا كان يكرهني ويحقد علي، فتلك مشكلته.. وليست مشكلتي"!

أغمضت عيني ولسان حالي يردد بإشفاق:

"إنه كلب.. مجرد كلب"!!!

* * *

فهد الخليوي

من مواليد 1946 (السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات منذ مرحلة مبكرة. يعد لإصدار مجموعته الأولى.

أجراس

خمسون حولاً دقت أجراسها قبل لحظة، بين صخب جرس وآخر، تقبع ارتعاشة مرهفة، أو مسرحية مملة يشدها قضيبان: هزلي وتراجيدي.

كأن في تلك الليلة ضجراً تمنى، لو تمطر السماء، وتبلل الأرض. والبيوت وتتقر بزخاتها المتسارعة هياكل السيارات التالفة، وبقايا الأخشاب المهملة، وكميات العلب الفارغة المتناثرة، على جنبات الشوارع.

كان يحلم أن تمطر السماء وتستثير رائحة التراب الخامدة في أنفه.

قاد سيارته باتجاه جنوب المدينة، كانت ثلة من النجوم مصطفة في السماء حيث شكلت عقداً ضوئياً تلاشى سريعاً وسط غيوم بيضاء أخذت بالتمزق كنتف القطن، وسمحت لشفافية ضوء بعيد بالتسلل بين فجواتها الباردة.

الأحياء القديمة جنوب المدينة، تلتصق في بعضها كالتلال الرملية الصغيرة، وتشيع عبقها الطيب الممزوج بالسكينة والاستكانة.

للأمكنة في هذه الأحياء المتصلة بغوابر الأزمنة حضور متألق في ذاكرته.. عبر شارعاً ضيقاً، أفضى به إلى حيه القديم، ها هو مسجد الحي بجوار بوابته الخشبية، نعشان متقابلان لم يتغير مكانهما، ثم مقهى (عبده اليماني) الذي رحل إلى اليمن قبل سنوات (وقبّل) المقهى لأحد الهنود.

توغل داخل الحي، إلى أن وصل إلى منزله الصغير، الذي تركه قبل ثلاثين عاماً بسبب عجزه عن دفع أجره الشهري، مالك المنزل أمهله يومين للبحث عن مكان آخر.

- آنذاك - جلب عشرات الكراتين، من مرمى مستودعات الأغذية لشحن كتبه، أما باقي الأمتعة فأمكن شحنها بكيس صغير، إبريق شــاي من النحاس الأصفر، سخان كهربائي عتيــق، كــوب من الزجــاج الباهــت، فراش من الإسفنج الهابط، أقــلام، نايات، شريط غنائي لــ (فيروز)، وآخر لــ (فوزي محسون).

أخذ يشحن الكتب ذات الحجم الأكبر (... والعدم) يحتاج بمفرده لكرتون.. (الحرية سابقة... العدم خارج...) سارتر أديب وفنان أكثر منه فيلسوفاً ومنظراً.

(تدهور حضارة الغرب لاشبنغلر) ثلاثة أجزاء، تحتاج لأكثر من كرتونٍ (المدينة ليست نواة حضارة، سكان المدن يكررون الحياة والموت بطريقة رتيبة وليس لهم علاقة بصنع الحضارة البتة) كيف؟..

ستنتهي مهلة اليومين وأنت تقرأ قبل أن يجيبك هذا الموسوعي... على سؤالك، أما (هكذا تكلم زارادشت) فأقل حجماً ويمكن شحنه مع بقية الكتب "على كل سائر أن يكون جسراً للمتقدمين وقدوة للمتأخرين". نيتشه.. فيلسوف عظيم لا يتكرر. أقلع عن همهماته وانهمك في ترتيب الكتب. ذات الحجم الأكبر، ثم الأوسط، فالأصغر، حمل

كراتينه المدهشة وكيس متاعه الصغير ورحل عن هذا الحي قبل ثلاثين عاماً. إيقاعات حزينة وشجية تناغمت في فضاء روحه، شعر أن ذاكرته تشتعل وتصهر المكان والزمان، وكأنها تحيل حقبة توارت إلى دقائق معدودات.. قاد سيارته متجهاً إلى الشارع العام، ثم سلك الطريق المؤدية إلى البحر.. هناك وقف على الشاطىء منصتاً لدمدمة البحر.

* * *

إبراهيم محمد شحبي

(السعودية). شاعر. أصدر مجموعتين قصصيتين: نزف في ذاكرة ركل" (1997)، "ما وراء الأنفاق (1999).

نصوص قصيرة

نكران

كان يقتعد ناصية العمر.. يقص على المارة حبها له.. يزعم أن الشمس أشرقت هاشة باشة حين تزوجها.. وأن القمر قهقه حتى انتثر شعاعه حين دخل بها وأن.. وأن.. لكنها تقول: إنها لا تعرفه!!

جدب

تقاطر الناس كأغنام عطشى يطلبون الغيث.. أرديتهم تفوح حقداً وحسداً.. وعلى صدورهم تجثم معاصٍ.. لا يكادون يبرحون المكان حتى يعاقروها.

غيبة

تحضر في مجلس السمر ومكاتب الموظفين العاطلين كطبق فاكهة شهي.. تتسابق الألسن لتذوقها.. تبدو لذيذة يتسايل اللعاب لها.. يبدأ الجميع في تناول المضغ إذ لا تكتمل اللذة إلا بالتناوب.

لذة الفاقة

وزع البدين عيونه في كل نواحي الحياة التي تدر دخلاً.. بدأ يستقبل الأيدي التي تقذف بالمحصل من كل ناحية.. زادت شهوة المال ليزيد عدد الفقراء في الأرض.

تكاثرت الأيدي التي تخطف دون هوادة لترمي في بحر من الفاقة.. كل من حول البحر يلعق أصابعه ليبتلع البقايا العالقة من الإثم.. دون أن يعلم أحد أنه يمارس العبث المحرم.

امرأة في الزمن الأخير

ركضت كمهرة جامحة في المضمار.. تسابق المروضون.. أحكموا الألجمة.. شدوها كل إلى ناحيته فسقطت... جسدها الأسفل وتغطى الأعلى.. توزعتها الأيدي العنيفة شداً حتى تمزقت.. ومازال السباق جارياً.

* * *

عبد الرضا السجواني

(الإمارات العربية المتحدة) صدر له زلة العذارى، ذلك الزمان.

طيرة الجنة

- 1 -

- مجرمون، قتلة.. أنتم الذين أوديتم بها..!!!

كالسيل، بل كالطوفان الحانق. تضطرم مشاعرهم في هيجان لم تألفه قبلاً نفوس لخلائق كهذه. لتلك الأوراق المتساقطة من وردة ملؤها الرقة والجمال، ذبلت سريعاً، لتغيب عن أبهى بستان لها، في خضم أمواج لم تفتأ هادرة!

– بابا، بابا، بابا، بابا، بابا، بابا....

تصدح كلمتها المعتادة وتضيع في رحابة الاحتدام المتأزم. فتأخذ عيناها في إرسال أدمعها، متحادرة على خديها، وأحاسيس متأججة.. مسترسلة في احتراقها.

و"وديعة" في عَدوِها السريع كطيرة تنطلق من الحجرة إلى نهاية فناء البيت، متتالية كلمتها المحببة تلك، إثر سماعها رنين جرس الباب.. لتتفاجأ أن من بالباب ليس من تنتظره على لظى!

الصراخ يتفتق عن نباح مستعر، يتعالى، فيصطدم بفضاء قسم الطوارئ بالمستشفى، المنهك تحت وطأة الحالات المستعجلة وحركة دؤوبة لا تهدأ من الممرضات والناس المذعورين، والمشدوهين، بحكمة وتروي الأطباء. في جـو خانـق من روائح الأدويـة، وعرق المترددين، وتوسلات مقززة، وأوامر مغلفة بإلحاح غريب!

– 2 –

وفئتان متقابلتان، رابض الشرر.. بل الشر فوق رأس إحداهما، تشهر بأياديها في وجه الأخرى، في اتهام ينز عن مقت نتن.. وانتظار يطويه الوقت تحت إبطيه في

تأنٍ ممل. وجفون يشوبها الذبول، من كثرة ما سكبت من دموع بعد أيام ثلاثة من المداولات والإتهامات، لمعرفة النتيجة النهائية، في سبب وفاة تلك المسجاة، ذات الربيع الثالث من عمرها!

- بابا، بابا.. متى ستأتي إليّ؟

- سآتي بعد قليل يا حبيبتي.. ريثما أنتهي مما لديّ، التهي بلعبك الآن يا ابنتي.. يا وديعتي الحلوة.. ويغرق هو في بحره، يتلاطم بأمواج صفقاته التجارية. تقصيه ولا تدنيه إلا بعد انتهاء كل شيء. وهي تتسلى مستعيضة بأخوالها الذين تعيش بكنفهم، بعد أن استحالت حياة أمها في بيت جدتها من أبيها. وتراكم المشكلات المفتلقة. ومكائد مغلفة بأكاذيب محبوكة، ترمي في وجه زوجها في أول إطلالة له، عائداً إلى البيت. تبحث عن أحضانهم مستلهمة الدفء. فخالها الأكبر هو "بابا" هذا البيت، الذي لازمته منذ سنة، فأصبح ملاذ حنانها واطمئنانها. إنه بيت جدتها من أمها، الذي قضت فيه أجمل أيامها وساعاتها، ولعبت فيه ومرحت وعقدت صداقاتها مع أطفال كثر كانوا يأتون خصيصاً للعب معها. ولو أنها في بعض الأحيان، يرونها تصاب بحالات نفسية لمؤثرات ما، فتعض أحد الأطفال إلى حد

الإدماء،وهي في حالة عصبية متشنجة غير أنها لا تتوق إلا إلى حضن أبيها. ولا تقرأ إلا إذا احتواها في صدره، بحب ملؤه الوئام.

- 3 -

الدنيا تدور فوق رأس أمها، وتزيد من سرعة دورانها. هكذا تحسها، وهي تلح عليه بتخصيص ملاذ يجمعهم ثلاثتهم، وهو يتمنع بحجج متلونة، كي ينفذ منصاعاً لأوامر أمه:

- لا تتصاع لكلام زوجتك، ولا ترضخ لآرائها.

وهي تعود في طرح فكرتها:

- أنا سأتكفل بدفع إيجار الشقة.

ويتيه فكر "وديعة" ويذوب قلبها، وهي تستشف طلعة ورائحة أبيها ولو من بعيد يحتضنها الضياع، ويرحل لها نحو السرب، فتتقمص شخصية عروس القاسم، التي تمضي متباطئة في ثوبها الأخضر، بين حشد من النساء، في احتفال ذا طابع تراثي، يسترجع الماضي البعيد جداً. تجمع حوى البسمة والدمعة معاً، ليزف القاسم بعروسه في الحاضر، كحلم راود أهله ومحبيه، بعدما

استشهد صغيراً، ولم يتحقق له زفاف بأي عروس.. ولم تدر "وديعة" أنها بعد بضعة أيام فقط من الاحتفال ستكون راحلة كرحيل القاسم. ليكون أبوها وحيداً مع صفقاته التجارية، في وحدة أمها مع آلامها المتجددة.

- 4 -

ساعة من الزمان وربما ساعتان، يخصصها أبوها للتجول بصحبتها يأخذها إلى أقرب دكان أو مطعم يفرحها بما يشتريه لها. أو يتجول معها بعربته في طرقات المدينة المتثائبة، بعد نهار متعب من الجري المتواصل، من قبل ناسها ومرتاديها. وفي كل لحظة من لحظاتها السعيدة، التي ترافقه فيها تردد كلمة كالشهد على لسانها إذ هو بقربها:

- "بابا، بابا، بابا...."

إلا في الليالي الثلاث الأخيرة، فكلما تحدثت معه عبر الهاتف ليأتي إليها يقول:

- أنا مشغول جداً يا حبيبتي.

- أنا عندي.. عندي أعمال كثيرة اليوم يا وديعتي..

- أنا......

وهي تتوق إلى رؤياه، وتحن إلى صدره، يأخذها في دفئه، معانقاً لاثماً إياها. وهي متشبثة برقبته، وفرحة تملأ دنياها الصغيرة. غير أنه في غاية الإنهماك بعمله بعد أن كثرت مشاغله، وزادت ارتباطاته بمن مثله.

- 5 -

نفوس تغلي، قد تبلغ ذروتها عند الإنتهاء من المعاينة الأخيرة، وهجير التريث يزيد من نبضات قلوبهم، وبراثن متحفزة تهم بالإجهاز على من يقابلها في فئة تلتحف بالسواد، بقلب مقطع، وفكر شارد مشتت، تتصهر بآلامها للأمر المفجع. تتعذب لاستبقاء الطفلة، يدثرها التثليج كل هذه الأيام. بعد إصرارهم على أنها قتلت من قبل أهل أمها. فاتخذت الشرطة إجراءاتها اللازمة.

علّقت جدتها من أمها في هذا التجمع الذي ضم نساء ورجال من الطرفين.

- لم كل ذلك، كانت في سباتها العميق... ثم رحلت، إنها طيرة الجنة.

وعقبت:

- كلهم أحبوها.. وهي أحبتهم.. تنتظر فرصة الجلوس في أحضانهم.

اختنقت بعبرتها.. في حين زوى بعضهم بوجوههن في الطرف الآخر، وبكين أخريات يقابلنها.

لحظات.. وإذا باب حجرة الكشف يفتح على مصراعيه ويخرج منه اثنان من الأطباء، الذين أشرفوا على ملابسات الوفاة، والتقصي عن أسبابها، وقف الطبيبان قبالة الفئتين، وأخذا يتحدثان في ثقة وبالتناوب.

- الوفاة طبيعية.

- فقط العامل النفسي هو السبب الذي أثر على صحتها ثم أودى بها.

عاود اللغط المكان مجدداً من قبل فئة، وتنفست الصعداء الفئة الأخرى بأدمع ألفت مجراها من خدودهم. ومضى الطبيبان إلى عملهما، في حين تدافعت الفئتان إلى سرير الطفلة، وكلٍ تحاول أخذ الطفلة لتجهيزها إلى حيث مثواها الأخير.

ويتزايد اللغط فيتحول إلى ضجيج، يتخلله صراخ متعالٍ وتدافع، ويتدخل رجال الشرطة المناوبون.يتنحى الممرضون والممرضات جانباً، في حين ينضم بعض الأطباء إلى صف الشرطة وروحها تجول أرجاء الأمكنة، التي يرتادها من تحبهم. كروح القاسم في بحثها عمن

تحب. و"وديعة" تترقب طلعة النور لترتمي في أحضانه، تستشف رائحة وأنفاس أبيها:

"أين أنت مني الآن..؟ أراك بعيداً جداً.. أكثر بكثير عما سبق، كيف أصل إلى صدرك، أغرق فيه، متزودة من حنانك...".

هناك روح القاسم، تطوف برداء مخضب بالدماء القانية، وهناك روح لم ترن إلى من تحب...

طيور لألاءة كوميض النجوم، ما رأت مثلها عين، تحلق بين أشجار وثمار، فوق أنهار من حليب، وتغريد طيور كالأنغام، ما سمعت بأعذب منها أذن. ومن بينهم طيرة صوتها غناء، ونظراتها ملء الدنيا من الحنان. تخطف الأبصار لبهائها! فعيناها، وزغبها، وقدماها يبهران الرائي. كماء سلسبيل.. تنساب إلى فؤاده في لمحة عين!

* * *

أحمـــــــد الدويحـــــي

من مواليـد 1954 (السعـودية)، روائـي، أصـــدر مجموعتـين قصصيتين "البديل" (1986)، "قالت فجرها" (2000).

الهديّـــة

- 1 -

انصرمت ثلاثة أشهر الآن من عمره، يقطع طريقه وحيداً، يمشي من بيته إلى مكة المكرمة، يتنقل من قرية إلى أخرى، ليصل قبل بدء موسم حج، أوشك أن يبدأ قريباً ويجـــد من يسند إليه عمـــلاً مناسباً، فقد ملَّ السقاية وحمل أثقالاً وخياماً، كلَّفه بها الميسرون من أهل مكة والحجاج، في مواسم حج مضت، ويريد أن يعمل لصالحه هذا الموسم، في أي عمل يختاره الله له، بشرط أن يدر عليه

مبلغاً، يوازي جهد يبذله، وطاقة يختزنها شبابه الممتلىء حيويـــة وأمانة، وليرتاح من أوامـــر ونـــواه، اعتادها كل موسم..

ما يثقل عليه الآن، أن مؤن الطريق من تمر وحبوب قليلة، حملها معه من قريته البعيدة قد نفدت، قبل أن ينفذ هو من جبال السروات وقراها، ولابد له أن يبيت كل ليلة منها ببيت، يأتي في البدء إلى مسجد القرية وينتظر، من يدعوه من الكبار والمحسنين، وأهلها لابد أن فيهم من هم مثله، ذاهبون إلى مكة للحج والعمل، فلينم بقرية ويصبح بأخرى، يأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون حتى يفرجها الله، ويصل إلى مكة.

كانت خيوط أشعة الشمس، تكسو أشفية جبال السروات، قبل أن تغطس في البحر، فقرر أن ينام بقرية، وصلها في طريقه إلى غد، ففيها وقد تأكد من ملامح عرس، ما ينسجم مع ما في داخله من تقاليد وأعراف، انتظر طويلاً في مسجد حتى دنا الليل، ولم يجد تلك الليلة من يدعوه، فذهب بنفسه إلى بيت عرس، كغريب وعابر سبيل، له حق الترحيب والوفادة، ولم يعلم أن صاحب الدار سيطرده شر طردة، ليعود منكسراً إلى مكانه في المسجد، إذ لازال يعاني هول الصدمة، و(فجأة) رفع رأسه لصوت

يدعوه باسمه، ويصر على حضوره حفلة عرس للتو طرد منها:

- (لكنهم طردوني..) (!؟)

- (أعرف أنهم طردوك.. وهم الآن يطلبوك).

- 2 -

وكان فاضل في حلم، يسر الله له الأسباب، ويريد أن يعرف سبب مجيء الرجل، فلم يمهله الرجل الواقف فوق رأسه، يستنهضه قائلاً:

- (أنا لست منهم.. أنا غريب مثلك، أعيش معهم، وهم أبداً لم يروني.. واسمي "مرجان". أظنك عرفت الآن..) (؟!)

أسقط في يد فاضل، واستدرك بخوف قائلاً:

- (وما المطلوب مني..) (؟!)

ضحك الرجل حتى بانت نواجذه، وربت على كتف فاضل بهدوء:

- (لا شيء.. العروس هي التي ستخبرك ما المطلوب منك.. أما أنا فأريد منك أن تحضر فقط، وهم بحاجتك الآن، لتعود إليهم معززاً مكرماً، وقد طردوك..).

(فغر) فاضل (فاه) بدهشة، متسائلاً عمّا يمكن أن يقدمه له ولهم (!؟)

لم يمهله (مرجان) ليكمل، إذ قال محرضاً بثقة:

- [كل شيء مرتب.. قم الآن هم في انتظارك..].

- 3 -

كان الرجل الذي طرد فاضل قبل ساعة، في انتظاره بفارغ الصبر، حتى تكتمل مظاهر فرح ابنته، والآن أخذوه فوراً حيث تنتظره عروس، حددت لهم اسم الضيف الغريب، ومكانه في المسجد، دون أن تراه أو يراها، ليتم زواجها الليلة.

أصبح فاضل بعد دقائق، يتصدر مكان بيت العروس، يتلذذ باستقبالهم له، وحفاوة تختلف عنها قبل ساعة، يلتف حوله كبار رجال القرية، يتقرب كل منهم إليه، ليحظى برضا الغريب، فيدله على مكان بئر ماء في أرضه، أو يعالج له مريض أعياه المرض، وفاضل الوحيد في هذا المكان، لا يعرف ما يحدث حوله، ينتظر بفارغ الصبر خروجه من بيت تغيرت نظرة أهله وتعاملهم معه، تغيراً جذرياً ليهرب منهم قبل أن يتورط في أسئلة، ثم يكتشفون أمره..

- 4 -

فور خروجه وجد (مرجان) ينتظره ضاحكاً، وقد تملكته جرأة، جعلت فاضل برهبة يسأله:

- (هل أديت دوري جيداً..) (؟!)

ضحك (مرجان) ضحكة منغمة، ارتعدت لها مفاصله ولم يمهله:

- [بل أديت خدمة جليلة لهم ولنا..].

وصمت (مرجان) للحظات، خالها فاضل دهراً، قبل أن يرد:

- [والآن جاء الدور عليك..] (!)

تساءل فاضل في ذاته عما قدمه، وما يمكن له أن يقدمه لهم (!). لكن (مرجان) أدرك عمق حيرة، ارتسمت بوضوح على وجهه، وأراد استدراجه، وازداد ضحكه، شعر فاضل أنه يعيش متاهة حقيقية، فأحجم عن الكلام، وطأطأ رأسه، منتظراً أن يحل الله كربته، وقد تعاظمت، ولم يعد يدري إلى أين يذهب (؟) فقطع عليه (مرجان) هواجسه وخوفه بصوت محايد:

- [يا فاضل..] (!)

وتساءل فاضل كيف عرف هذا المخلوق اسمه، وعرف كيف يصطاده، وهو في طريقه إلى بيت الله الحرام للحج، وفي الأشهر الحرم (؟!)

كاد يبكي.. لكن (مرجان) الذي لازال يضحك أضاف:

- [أنت اذهب الآن للحج، وسنكون معك.. وحينما تعود بالسلامة، نلتقي هنا].

وأشار إلى حصاة معلقة كأنها كرة، تعلو هضبة كبيـــرة، تروي الأساطيـــر الشعبيـــة، أنها نبـــلة (أبو زيد الهلالي)، وقال:

- [نادني بعد أن تصل تحت هذه الصخرة.. ستجدني في لحظة. وستجد هديتك في انتظارك.. لن ننساك..].

- 5 -

وفي لحظة اختفى فيها كبرق خاطف، يشبه تلك التي تضرب رؤوس جبال السروات، لتنذر ببدء وقت الإنهمار، جعلت فاضل يفرك عينيه، ويهلل ويكبر، قبل أن يأوي إلى المسجد لينام الليلة، ثم يواصل سيره، إلى مكة المكرمة في صباح الغد.

نام وبين عينيه طريق طالما استطرقها، وفي جيب ثوبه الداخلي دريهمات قليلة، كسبها من أعمال أداها في القرى التي مر بها، كحرث وبناء مدرجات صغيرة وقطع أخشاب، وها هو يحصي الأيام، فلأول وهلة، يفكر في أهله منذ غادر قريته.

- 6 -

روى فاضل فيما بعد، وقد حج سبع حجات من

قبل، أن الله لم ييسر له مثل حجة موسمه هذا. ولم يجد من الكمال في شيء، كما وجده في حجه هذا، من أداء مناسك، وعمل وراحة لولا حدث واحد، كاد يفسد عليه حجه، حينما سمح لنفسه ، وانقاد لنظرات فتاة عذبة... فتاة غاية في السحر والجمال، ظلت صورتها تتجسد في خياله، كأنها نجمة تضيء طريق عودته، وقد امتلأ (كمر) جلدي شد به وسطه، من ريالات فرنسية وجنيهات ذهبية، لم يتوان في جمعها بحرص ويسر، وعلى ظهره كيس حب الشام وكوافي هدايا معتادة لأطفال القرية، يأتي بها كل من أتى من مكة.

- 7 -

شمس ذلك النهار تكاد تهوي، من حافة أشفية جبال السروات، وقف فاضل في رأس جبل، ينظر إلى (الخبت التهامي) البعيد، يود أن يجمع حفنة سحاب في يديه، ينساب بحرية من بين قدميه إلى الوادي العميق، فيكاد يقبل شفة بحر، يخاله ممتداً إلى ما لا نهاية، التفت ونظر ضاحكاً لرؤية حصاة معلقة في السماء، وقال لذاته:

- [هذه حصاة مرجان..] (؟)

انشقت أمامه (فجأة!!) الحصاة، لتخرج من جوفها فتاة، ليست غريبة ملامحها ونظرات عينيها عليه، لولا

اتشاحها بسواد وبعض وجوم، اقتربت منه بهدوء مبتسمة وسألته:

- [طبعاً أنت فاضل.. أما أنا، اسمي (ياقوتة) بنت مرجان..].

هز رأسه وظل واجماً للحظات يتأمل الفتاة قبل أن تضيف:

- [طبعاً أنت تعرف.. أنني كنت معك في الحج، كنت بخدمتك..].

حامت هواجس عدة في رأسه، قبل أن تبادره قائلة:

- [نحن في عزاء، والدي مات أمس.. ولكن عليّ تنفيذ وصيته لك..].

وفجأة سألته:

- [ألن تحضر مراسم العزاء..] (؟)

وجد نفسه في متاهة أخرى يهز رأسه بالإيجاب ويختلس نظرات نافذة إلى موطن جمالها الآخذ، ابتسمت وطلبت منه أن يغمض عينيه للحظة، فوجد نفسه (فجأة!!) وسط محيط كبير من الخلق، تشكل (ياقوتة) رأس هذا الحشد، وهم يتبارون في خدمته والعناية به، واكتشف

أسراراً لم تكن مهيأة له، أزعجه منها أمران، خطبة (ياقوتة) من عريس آخر، وخلو الطعام من ملح لا يصلح بدونه، استسلم في البدء لهذا الواقع، منتظراً ما سيسفر عنه صبره، لولا أن نفسه عافت الطعام أكثر من مرة، جعلت (ياقوتة) تنتبه وتسأله، ثم تبعث أحدهم للسفر إلى قريته، لإحضار طعام له، طهي بأيدي نساء قريته في ثوان معدودات، وبعد ثلاث ليال، مرت كأنها دهر انتهت أيام العزاء، فاستدعته (ياقوتة) في خلوة صغيرة أيقن لحظتها أنه، قد حان وقت رحيل قسري، لابد منه ليداري شوقاً وحسرة ولوعة، في القلب كي لا تكتشفها، وقالت له باشة:

- [الآن.. عليَّ أن أنفذ وصية مرجان والدي.. نحن لا نخون أصدقاءنا.. ولا ننسى..].

لم يجد شيئاً ليرد، فصمت بذهول، ينتظر اللحظة الحاسمة، (وفجأة) أخرجت مسواكاً من طرف ثوبها الداخلي، وناولته قائلة:

- [هذا هدية صديقك مرجان لك.. مسواك كلما أدرجته في فمك.. فتحت لك بحور الشعر وكنوزه، لعلّ من صفوة وتصطاد لآلئه.. وكلما أوشك أن ينتهي.. ضعه في نافذة الظلام الصغيرة، المضيئة في جدار البيت.. وستجده جديداً كما تريد..].

- 8 -

كانت (ياقوتة) قد قرأت أسئلة كثيرة في عينيه، وأدركت أنه لم يستوعب، وقالت له:

- [هدية صديقتك الجديدة لم يحن وقتها بعد..].

ودون أن يعلم إن كانت أبصرت ابتسامة فرح في عينيه، طلبت منه أن يغمض عينيه، قبل أن تختفي (فجأة!!) ليجد ذاته يخطو في طريق قريته، وفي أعطافه وعد بهدية، لم يحن بعد زمنها.

* * *

عبدالحفيظ الشمري

من مواليد 1959 (السعودية). كتب قصصاً للأطفال. أصدر عدداً من المجموعات القصصية. منها: "رحيل الكادحين" (1993)، "أبي والقوافل" (1993)، و"تهرأت حبالها" (1997)، "دفائن الأوهن تنمو" (1997).

الجمعة الغائمة

لفرط ما لفَّ الأفق من غيوم ظلَّ يوم الجمعة معتماً وشاحباً بعد أيام نزفت فيها السماء ذرات المطر، وندفاً من الرذاذ، لم تدم الخلائق في كمونها، وصمتها إذ دوى بين وقت الضحى ونداء صلاتها الأول في الأرجاء خبر الفاجعة منبئاً عن وصول المرحوم بواردي الفيضة الحاذق (الملاحي) هابطاً من جهامة الجبل على أعناق الرجال جثة هامدة.

شاع في الأرجاء أن القتيل صار طعاماً لرصاص بندقيته الآلية.. خمس رصاصات عبرن جسده، لتبقى آثارها مخلفة بقع دماء جرت وجفت على مواضع جسده.. قضى على الفور، واستحال جسده إلى الاصفرار.

ازداد الفضاء عتمة، غُسل الجسد ولف على عجل، طيب ووضع متضام الأطراف بشكل متقن على أعواد النعش.. هرعوا به إلى "جامع جدران الكيس" المسجد الوحيد في فيضة الرعد.. في تلك الأثناء كان المؤذن يفرغ من النداء الأخير للجمعة الغائمة الحزينة.

حمل بعد الصلاة على أكتاف الرجال نحو سفح الجبل المتجهم.. أنارت البروق عتمة البلاد التي تودع البواردي الملاحي، وأضاءت عتمة قبره قبل أن يطبق على هيكله الهامد.. همى فوق رؤوس دافنيه مطر عات.

صاح رجل يدعي الحكمة:

(...)

لم يكفَّ الرعد عن دويه الذي يصمَّ الآذان. ربما تخليداً لذكرى أزيز طلقات باروده في خاصرة جبال (أجا) المدببة الرؤوس.

انهارت فور مغادرتهم قبر الملاحي شرفات

جدران (الخراب) قرب بيت العقيدي، فيما تمرغ بالطين والرماد دخيل النخيلي تعبيراً عن حزنه على الراحل، لم ينتـــه ذلك اليـــوم إلا والقرية الحزينـــة تصافح الســـماء بالإستغاثة تلو الأخرى لهول تساقط حبات البرد المدببة.. تلك التي تتدحرج جراء انهماره جثث الطيور هامدة عند جذوع الأشجار.

طغى الماء في بعض الأماكن لتفر الجرذان في كل الجهات.. فيما هوى الماء الجاري بصخب فاجع في أعماق آبار مهجورة.. أرجف العالم لفقد الملاحي.

* * *

في الطرف الآخر من (فيضة الرعد) سمع في المساء ضحك رجل حاقد كان يشير به إلى أن أتان العريجي هربت حزناً على الراحل إذ كان ينفحها كل غروب حزمة علف كاملة.. أضمومة من البرسيم الشهي تلهو به.. ليحلف فظ القلب أنه لو ذهب الآن وفي هذه الليلة الموحشة سيجدها على قبر الملاحي.

قبل أن يسترد الضياء (فيضة الرعد) المنكوبة أرجف في الجانب الغربي منها صوت حطام وانهيار، كان بيت السحيلي قد سوى بالأرض، وفقد أهله رأس عائلهم

الذي هَمَّ بنقل أكبر قدر من المتاع لكن النهاية أبت إلا أن يرافق الملاحي أحداً منهم.

يوم رحيل الملاحي مفجع، ومخيف اقتلع معه الطمأنينة والهدوء الفطري ليزرع في النفوس رعب الخبايا، فيما أشار غليظ القلب أن رحيله مناسبة... هطلت فيها هذه الأرض على الفيضة المجدبة...

لم تودع الجمعة الغائمة فيضة الرعد إلا بعد أن أجهزت على بعض البيوت، وأزهقت روح رجلين ونفقت في حبائل الماء الغادر قطعان الماشية، وقتل بَرَدُها الحاد عشرات الطيور.. واعتمرت قمم أجا بياض الثلج ولاذت الخلائق في صمتها من جديد.

* * *

محمد سيف حيدر

(اليمن). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

كنت حلماً

كان يمشي بخطوات وئيدة على قارعة الطريق الملوثة بالغبار المتجمد، وزخات المطر تنهمر من السماء تلثم جسده البالي بعنف رحيم "آه.. ما أقسى لفحات البرد!"، هكذا حدّث نفسه، والحديث مع نفسه التائهة يبعث في أوصاله شبه المتجمدة، نوعاً من الدفء ينسيه – بعض الشيء – ذلك البرد المضني.

"سيارة ما تمرق بسرعة بجواره.. جسده يتألم مع

اكتمال لوحة الأوحال المتناثرة على ملابسه.. أو ما يمكننا أن نطلق عليه اسم الملابس!".

إنه لا يهتم، لقد اعتاد هذه الحياة إن لم تكن هي قد أعتادته!، لم يكن يرتدي ما يستره حقاً حتى يدفئه.. مجرد بنطال غريب فضفاض قصير الطول، وقميص ضيق كقميص طفل في العاشرة.. قميص أبيض.. أو كان أبيض منذ حين.. لقد كان نفسه يضحك من مظهره الذي ينعكس على واجهات المحلات التجارية اللامعة.. كان أشبه بمهرجي السيرك الذين لا يضحكون إلا الحمقى أمثالهم..!!

"دفقات المطر تشتد.. وخطواته تتباطأ رغماً عنه".

ها هو ذا يمر منحني الرأس كالناظر عقوبة الإعدام... يداه مسترخيتان على جانبيه... و"لمحة من ضوء أصفر باهت تمسح وجهه فاحصة ثم تنسحب في لا مبالاة..!!".

يده اليمنى تتسلل باحثة عن شيء ما، تدلف دون استئذان إلى جيب بنطاله الواسع، وتخرج حاملة في قبضتها وريقات قليلة من المال ابتلت بالماء.. يقلبها – أمام عينيه الواهنتين – آسفاً... ويصرخ في أعماقه السحيقة:

- "أهذا كل ما لديك أيها الإنسان الشقي؟!... ويلك ما بالك صامتاً... تكلم... أهذا كل ما تملكه في دنياك المذمومة؟!!.. وريقات مبتلة كانت قبل قليل تسمّى نقوداً، وخرقتان باليتان لا تكادان تستران جسدك شبه المسجى.. آه ما أتعسك! وما أقسى الحياة!.. لماذا تبدو منبوذاً منفياً؟! وأين؟.! هنا في منفى وطنك.. وطنك الذي حلمت به عالماً آخر ذات يوم...".

خدر البؤس يجري في عروقه مجرى الدماء وهو يجوب طرقاً ضيقة.. ربما تقوده إلى مكان ما يبيت الليلة فيه..

"سيارة ما تقترب، ضوؤها الباهت يجوب في هدوء مساحات الطريق الرمادية".

- "ويل لهذا الوطن المنفي من صمت البائسين.. ويلـــه من تأوهـــات العاجزيـــن.. ومن عبـــرات أطفاله المشردين.. ويله من أزقـــة الظلام المخيفة حيث تقبـــع خفافيش البشر من المجرمين.. ويله..!"...

الدفـء يسري في جسده من جديد... "ضوء السيارة يدنو أكثر".

أنفاسه تختنق.. تزداد اختناقاً، صدره يناور الهواء

في صعوبة.. حلمه المغشي عليه في جنبات عقله.. مستلقٍ على سرير تفكيره الرمادي...

"إنه لا ينتبه!!"..

قدماه في الظلام تتعثران بجسد كلب ميت ممزق الأحشاء.. سحق تحت عجلات سيارة ما عمداً أو بغير عمد...!

"صوت صرير عجلات السيارة يصرخ معلناً احتجاجه.. انتبه يا غبي!!"

لم يلتفت إلى الوجوه الغاضبة القابعة في جوف السيارة الحار.. كان همه الآن لملمة وريقاته اللائي تحررت من قبضة يده لتطير مع الأنسام القارسة البرودة.

جمعها بعد عناء شديد.. ثم مضى وهو يتمتم في صدره الدافيء: "أيها الوطن الجميل.. لقد كنت حلماً".

زخات المطر تنهمر بشدة أكبر، ولمع البرق يضيء جنبات الطريق...

* * *

حسين سعيد طه

(اليمن). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

مملكة الطوفان

(1)

كانت هذه هي المرة الثانية التي أبصرها فيها تتجه بسيارتها الفخمة إلى أحد المواقف الخاصة بهذا المنتدى.. نزعت نظارتها الشمسية عن عينيها لتضعها داخل حقيبتها التي تشبه حقائب السياح.. استقبلتها بابتسامة وبالسؤال عن صحتها... التفتْ إلى حيث أكثر من طاولة وأحاديث

يتبادلها زبائن الصباح ثم قالت: أريد كوباً من العصير المثلج... ابتعدت لتستقر في ركنها المفضل المطل على نافورة مياه في الليل تبدو كما لو أنها نجمة ذات ألوان متعددة وأنا فضلت تقديم العصير لها دون أن أقول شيئاً.. دقائق وظهرت صديقتها التي لا تفارقها أبداً.. كانت ترتدي فستاناً اشتقت ألوانه لتلائم حرَّ الصيف.. قبالتها جلستْ.. ناداني مسؤول المنتدى ليخبرني بأن هناك مكالمة هاتفية لي في مكتبه. ذهب هو لأحد شؤونه وتركني وحيداً.. كانت أمي تقول بأن اليوم هو موعد زيارتها للطبيب وأنني وجب عليَّ العودة باكراً كي أصطحبها لعيادته.. خرجت من مكتب مسؤول المنتدى.. صديقتها كانت قد ذهبت وظلت هي تتأمل الرسومات المائية التي عرضها زجاج المكان.. انتبهت إلى أنها قد انتهت من احتساء كوب العصير.. قالت بأنها لا تريد شيئاً آخر.. أحد الزملاء اقترب مني ليهمس في أذني:

هل جاءت ليلى يا قيس..؟!

همستُ: الموضوع ليس كما تتخيل.

كانت الشمس قد بدأت صعود سلمها وأحسست بأنني بحاجة للخروج من هنا إلى حيث الشارع وأبواق

السيارات بمختلف أحجامها وكذلك الهواء الطلق. هدأت نفسي في الصباح وقبل نهوضي من الفراش كنت قد رسمت في مخيلتي أنني وإياها في سيارتها وفي طريق طويل على جانبيه ارتفعت أشجار ضخمة.. انطلق المنبه ليعلن أنها السادسة صباحاً وأن ما كان لم يكن سوى أحلام دون أي معنى... ارتطمت قدمي بساق أحد المقاعد.. كانت قد غادرت ولابد أنها ستعود في المساء وفي صحبتها تلك الجميلة التي لا تفارقها.. كان عليَّ أن أنتهي من عملي.. جفلت من مراهقتي.. من أن أبدو كمتسول وهي من سيدات المجتمع المخملي وتمنحني بعض النقود وتمضي فيما كفيَّ ترتفع بالدعاء لها.. فركت عيوني.. هل وصل الأمر بي إلى هذا الحد.. ويجدر بي أن لا أضعف أمام مشاعري الملتهبة.. كما أنه لا يجب أن أتساقط كما أوراق شجرة في خريف ما.. في الليل وبعد عودتي وأمي من عيادة طبيب العظام قالت بأنها قد وجدت لي عروساً تليق بي.. وجميلة.. (ابنة أم رشاد.. تعرفهم..).. لم أقل أي شيء.. هربت إلى النوم لكنني لم أجده.. عيوني تحدق بالسقف.. كان إبراهيم صديقي يقول دائماً بأنه على الفقراء الإكتفاء بالنظر وأن لا يحلموا بالكافيار..

امتحنت مقولته هذه بالكثير من الأسئلة ذات العلاقة بما أعانيه.. في تلك الحقبة الزمانية لم تكن العبارة تعني لي شيئاً.. إبراهيم هاجر إلى استراليا وانسحبت أنا من المدرسة لأبدأ رحلة المتاعب والشقاء ووصلت إلى العمل بهذا المنتدى.. مالكه يعرف والدي وأمي قالت بأنه رجل كريم.. في الثلث الثاني من الليل فكرت بكتابة رسالة لها ولكنني استبعدت هذه الفكرة وألقيت بها في سلة مهملات الذاكرة لسخافتها.. إذن.. المواجهة .. وأنا متأكد أنني سأنال إعجابها فأنا لا تنقصني الوسامة والكثيرين يعتبرونني إنساناً مرحاً وقادراً على إقامة علاقات مهمة مع الجنس اللطيف.. في الصباح الباكر أعدت أمي الفطور وباستعجال بيّن تناولته ثم هرولت إلى المنتدى.. كانت الحافلة التي امتطيت صهوتها بطيئة لدرجة أنني كدت أدخل في عراك مع من جاورني..

قلت لأحد الزملاء: هل بعت تذاكر الحفلة..؟؟

قال وهو يتثاءب: النصف فقط..

ابتعدت إلى الداخل، ارتديت ثياب العمل الأنيقة.. ثرثرت في الهاتف قليلاً.. وبزغتْ كما لو أنني أراها لأول مرة.. هل أقترب منها وأعبر لها عما يمور داخلي من

مشاعر وأحاسيس صادقة أم أتريث ريثما تحتسي كوب العصير.. قالت بأنها تريد كوب ماء فقط.. تبدو عليَّ اللهفة في أن ألبي طلبها فضلت ذهاب أحد الزملاء لتقديم العصير لها فأنا لم أعد أحتمل.. أحسست بأنه لابد وأن يكون الرفض هو الجواب.. هي ابنة المليونير.. وأنا مجرد نادل في هذا المنتدى.. حقاً إنني غبي.. خطوت إلى الأمام لكنني في آخر لحظة تراجعت.. ولابد من وضع النقاط على الحروف داخلي.. علا صوتها مرة أخرى.. اقتربت منها وهمست بأنها تريد أن تقول لي شيئاً.. كبحرٍ أنا دون قوارب ولا صيادين.. الأسماك داخلي قتيلة.. تبعتها إلى حيث توقفت سيارتها الفخمة.. ملأت فضاء رأسي مقولة إبراهيم (على الفقراء الإكتفاء بالنظر..) التفتت إليَّ.. الصمت شق بسكينه القاتلة والحادة أطراف الحديث.

بسرعة قالت: أريد عملاً في محلكم هذا...

والسيارة الفخمة.. ووالدها.. الدنيا تدور بي وعيوني زائغة النظرات.. لم يكن هناك أحد من الزملاء ليبصرني وقد قلت لها:

غداً سأكلم المسؤول.

(2)

في صباح اليوم التالي جاءت.. دون سيارتها الفخمة، ملابسها عادية.. نظارتها الشمسية أظنها أيضاً لإحداهن.. قلبي لا يخفق.. وطردتها من المكان.

* * *

عبدالرحمن الدرعان

من مواليد 1962 (السعودية). أصدر مجموعة "نصوص الطين" (1989).

ليلة الحشر

- هل ستتأخر عندهم؟!

لم يتمكن الرجل من سماع دبيب الكلمات التي اختلطت مع وشوشة المذياع لكنه بذكاء البدوي اختطف المعنى بالإيحاء وقال يجب عليك أن تكف عن حساب الوقت لأننا لسنا في مباراة (قالها على طريقته) ثم بهمزة من إصبعه خنق شلال الموسيقى تأهباً للوقوف، وعلى خشخشة السيارة حال توقفها المفاجيء استيقظ خفير البوابة الواسعة، وأوعز لنا بالدخول بإشارة باردة.

قال السائق الذي كان إلى جهته: "لو جاء المفتش ونزع برنيطتك لدفعت ثمن هذه الغفوة في الزنزانة أيها المعتوه!".

انتفض حين داهمه الصوت، وهب من كرسيه الأجرب، ونزل عن الدرجات القليلة باتجاهنا وصاح بفرح الطفل عندما يباغت:

- هذا أنت؟! أينك طوال هذه المدة؟

- أين أنا يا ترى، قاطع طريق، أكون حيث تكون الغنيمة أكثر دسماً، وحسب!

- فكرت أن أصلي عليك صلاة الغائب، إذ اعتقدت أنك مت على هذه الطريق الخائنة، ناوله السائق رشوة العبور، وهم أن يشعل سيجارة، لكنه التقطها تعبيراً عن عدم الرغبة في التدخين، وحشرها خلف أذنه.. واضعاً النقود تحت القبعة بخفة تنم عن الخبرة والإحتراف.

- ستمطر إذن، طالما فكرت بالصلاة أيها الفاسق!

وكانت تمطر حقاً حينما أطلق الرجلان ضحكتين طويلتين في هدوء الليل البارد. انطلقنا، وجاء الصوت من خلفنا: "سأعتقلك حتى تتبول في ملابسك لو نسيت الفيديو في المرة القادمة"!

التفت السائق إليَّ وهو يحاول أن يتخلص من وصلة الضحك قائلاً: المهم أنه صحا. وخزتني شوكة حسد على عفوية تحياتهما التي كانت أكثر من عناق. وتـراءت لي مكاتب الموظفيـن الشاحبـة وصباحاتهـم المأهولة بالنفاق.

- يبدو أنك تعرفه؟!

- بلى. أعرفه حق المعرفة! هل معك ممنوعات، أو كتب مثلاً؟!!

- لماذا تسأل عن الكتب بالذات؟ قال حتى لا نبيت عندهم.

- وهل تعتقد أننا سنتأخر كثيراً؟! أم نحن وشطارتنا؟!

- بل نحن وحظنا (!!).

* * *

- أعتقوك أخيراً؟!

أجاب الرجل العجوز وهو يغادر الصالة رداً على محدثه الذي كان ينتظره عند الباب: ليس بي جهد لأهرب.. إن نملة صغيرة تستطيع القبض عليَّ، أنا الذي وهن العظم مني، وصار علي أن أستجمع كل قواي من أجل أن أبصق. أيعقل أن أقتل أحداً أو أنسف مصلحة حتى

يوقفوني زهاء ساعة للتحقيق معي أمام الملأ. إن مجرد ارتداء القميص يشكل بالنسبة لي أحد الأعمال الشاقة.

وكان واقفاً يتمخط فعلاً، ويحاول بكل صعوبة أن يبصق. ومضى – ربما إلى الأبد – لكن وجهه المكسور تحت الامتعاض ظل يطاردني كقنديل الحكمة: "لن يفلتوك حتى يتقوض آخر حجر في قلعة كرامتك".

همسني ونحن ندلف إلى الصالة، وبدوري ناولته النقود، قال لي على طريقة الاعتذار: نحن غير ملزمين بالدفع لكننا أمام هذا الزحام مضطرون لتفادي بعض الصعوبات، ثم أضاف: السفر مهنة واطئة تضطرك أن تتوسل أوسخ الناس. وأشرف لك أن تشتغل بدلاً عنها في التهريب. رمى جملته الأخيرة وانسل مختفياً في طوفان البشر، بينما كنت أنقب عنه من أجل مواجهة أية مصادفة محتملة. وأشعلت السيجارة لمقاومة البرد ليس إلا.

* * *

لم يكن العثور على دورة المياه صعبا، رغم الزحام وكثرة المنافذ، وخشونة المسافرين الذين يبدون غير عابئين بتقديم أية خدمة، حتى لو كانت هذه الخدمة إسعاف إنسان يحتضر. فمن خلال زوبعة الذباب اهتديت

إليها بدون عناء. وفي المرحاض كنت مشغولاً بالعثور على كلمة أكثر قذارة لترجمة هذا المكان عَبرَ الفراغ الذي يعلو الحاجز جاء الصوت من (القاطن) في الحمام المجاور بعدما تناهى إلى سمعه فرقعة مفاصلي جراء وطأة السفر وألم الطريق:

- "....................."

- "....................."

- "....................."

- "....................."

وحدث أن تعارفنا دون أن يرى أينا الآخر؛ تبادلنا العناوين، وأرقام الهواتف سريعاً، وحمدنا الله على أن أحدنا لم يكن مخبراً.

* * *

فجأة لمحت السائق يحاول أن يوقظ شاباً مرمياً في زاوية الصالة مثل بالة التبن وحوله بضعة أسطر من القيء الأحمر، تأملت جسمه الواهن بنظرة رثاء، وسألت:

- هل تعرفه هو الآخر أيضاً؟

نهرني قائلاً: يعني أكان لابد أن أعرفه!!

- يبدو، ربما ميتاً، فما شأنك به؟

والتفت نحوي باستغراب: كان قبل قليل يرفع عقيرته بالغناء ويطلب النخوة. أين كنت إذن؟!

- في الحمام. وتجاسرت عليه لأضيف: إن كنت مفتوناً بنخوة الرجال فهيا خلصني.

- لعله يفيق بعد أن تقيأ. وكانت رائحة القيء كافية لتفسير الحالة. عند هذه اللحظة كان الشاب يفتح عينيه، يحدق فينا بامتنان، وعلى سيماه تلوح إمارات الإحساس بالعار. حدجني السائق قائلاً: وأنت هل أفقت (يقصد هل فهمت)؟! فقلت: يتعين عليك أن تعمل مراقباً للعسس، أليس كذلك؟

- من يعمل سائقاً يصلح أن يقوم بأي عمل مهما كان شاقاً.

- قالها بخيلاء تدل على الولاء للمهنة والفخر بكل صعوباتها.

* * *

- أليس غريباً هذا الزحام في البرد؟

- إنه برد الجمارك، يا حبيبي، فهناك سنمل من الدفء.

- أعني أنه ليس موسم سياحة!

- السياحة كلام جرائد. كل ما في الأمر أن الناس بعد رمضان مثل الجمال الهاملة. ينتظرون إجازاتهم بفارغ الصبر، كان الله في عونهم، ألست موظفاً؟

- بلى. هل سيعتقلون الشاب برأيك؟!

- أبداً، ففي هذا المكان ادفع بالتي هي أحسن، وتوكل على الله.

- حسناً وأنت ألم تعطهم النقود بعد.

- بلى، ولكن هل تريدهم أن يعتبرونا دبلوماسيين ويفتحون لنا الطريق من أجل دراهم قليلة!

ولما رفع الموظف قبضته عن الجواز، ومهره بتوقيع أشبه بمراغة حمار، تنفست الصعداء، واعترتني وعكة أمان لذيذة، ودافئة. صحت، لقد انتهينا أخيراً.

وكان الليل يمضي.. وريح موغلة في البرودة تعانقنا بعد أن هدأ المطر، ونحن نعتلي الأمتعة الجاثمة تحت المرآب الطويل في انتظار المفتش. أحد الأولاد أغراه القفص وجاء يداعب الببغاء التي نفشت ريشها هلعاً، وجعلت تتأرجح في يدي، بينما رحت أحدق تارة في غيمة

نساء سوداء تختفي في الأوتوبيس، وتارة في البيرق الذي يخفق في الريح كغراب مصفد من مخلبيه.

اشتريت تبغاً، وجرائد بسعر مضاعف، وانشغلت بأناقة الملابس، وعند ركوبنا طرحت بحساب ذهني ثمن الرشوة، ومصاريف الطريق، وثمن التبغ والجرائد، قال لي صاحب التاكسي على سبيل النصيحة: إن وراءك أعمالاً لا نستطيع إنجازها إلا بدفع النقود، كما يجب ألا تنسى حساب تسديد المخالفات (!!) وكانت عناقيد الضحى تغمر الأفق الأزرق فلم أعد بحاجة إلى معرفة الوقت.

سألته، لِمَ صادروا عليّ الببغاء؟

- تستاهل. من يهدي الطيور هذه الأيام.

* * *

ميسون الرويلي

(السعودية). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

شقائق النعمان

تفتح الطفلة الصغيرة النافذة، تمدّ أنفها الدقيق عبر الشقّ الضيّق وتأخذ نفساً عميقاً. تلتفت إلى أمها وتقول في خبث:

- ماما.. الطقس حلو اليوم.. الشمس مشرقة ولا توجد غيمة واحدة في السماء..

تجيبها أمها وهي تصبّ الشاي:

- ومع ذلك ستلبسين معطفكِ وتذهبين به إلى المدرسة.

تهز الطفلة رأسها معترضة:

- سأعرق إذا ظللت ألبسه طيلة النهار، كما أن المقعد في الحافلة لن يتسع لنا أنا ورفيقاتي. تطوي الطفلة المعطف بيديها الصغيرتين، وعيناها معلقتان بعيني أمها. تبتسم وهي تضعه على طرف الأريكة، وتدير الأم رأسها لتخفي ابتسامة تغالب شفتيها وتكاد تفرّ منهما:

- يا له من جيل عنيد مراوغ لا ينفذ إلاّ ما يدور في رأسه!

تجلس الأم، تمسك بيدها قدح الشاي ولا ترشفه، تدرك الصغيرة أنها اقترفت ذنباً..

تقترب من أمها وتربت على خدّها:

- ماما.. أنت زعلانة؟

تظل الأم غارقة في شرودها. تتابع الطفلة في غمّة:

- طيب لا تغضبي.. سأرتدي المعطف في الطريق فقط، ولكني سأخلعه لدى دخولي المدرسة. شيء غامض

يُمسك قلب الأم.. قبضة قاسية تعتصره وتعتصره حتى لا تبقى فيه قطرة دم واحدة.. يرفرف القلب متوجعاً، وتأخذ الأم نفساً عميقاً ولا تردّ.

ماما.. أرجوك لا تغضبي.. ولكنه صار ضيقاً.. أكمامه تكتفني وأنا أدوّن الوظيفة على الدفتر.

تتنهّد الأم ثانية. تسأل قلبها عمّا به.. يرفرف القلب ولا يجيب.

- ماما.. ماما.. الشاي برد.

تظل الأم في عالم بعيد. تربت الطفلة على خدها من جديد:

- ماما.. كلّ هذا الغضب من أجل المعطف؟

تنتبه الأم. تضم الطفلة إليها.. تمسك الرأس الصغير وتنظر في العينين الشقيتين. تستردّ شيئاً من هدوئها:

- من أين أتيت بهاتين العينين الجميلتين؟

- هل نسيت؟ قلت لي مرّة إنك رأيت زهرة بنفسج، فتمنيت أن يكون لك بنت عيناها بلون البنفسج أليس كذلك؟

- صحيح، ولكني أردت أن أختبر ذاكرتك.

تغمض الطفلة عينيها. تقرب وجهها من أمها:

- قلبي إذن زهرة البنفسج.

تقبلها الأم في العينين:

- هيا.. اجمعي أوراقك قبل أن تذهبي إلى المدرسة.

تقبلها الأم ثانية، فيما تصفق الطفلة وكأنها تذكرت شيئاً غاب عن ذهنها:

- آه نسيت..

تسرع إلى أوراقها. تبحث عن ورقة معينة.. تحملها وتعود بها:

- ماما.. انظري.. أليست جميلة؟

- همّ.. جميلة.. جميلة جداً..

- هل تعرفين حكايتها؟

- حكاية من؟

- أزهار شقائق النعمان.. أأحكيها لك؟

قبل أن توافق الأم أو ترفض، تنطلق الطفلة تحكي:

- كان هناك شاب وسيم يحبّه الجميع. وكان هناك ساحر شرير بشع جداً له أنياب طويلة كالغول. ويوماً تضايق الساحر لأن أحداً لا يحبّه، فقرّر أن يقتل الشاب الوسيم. وحتى لا يتهمه أحد بقتله، لحق به إلى الغابة.. وهناك أبدل نفسه - بفعل السحر - إلى خنزير برّي له قرنان طويلان وأنياب طويلة، ثم هجم عليه وأصابه بجراح قاتلة. وسالت دماء الشاب الوسيم على أرض الغابة.. وحيث سالت الدماء نبتت أزهار حمراء.. قانية اللون، هي شقائق النعمان.

تغرق الأم في شرودها، وتتابع الطفلة:

- ماما أنا لا أعرف شكل الخنزير البريّ.. هل يوجد منه في بلادنا؟

ترد الأم:

- لا.. لا يعيش مثل هذا الخنزير في بلادنا..

يعود الشيء الغامض ويعتصر قلب الأم، تأخذ نفساً عميقاً:

- هيا.. اجمعي أوراقكِ ولا تتركيها مبعثرة هكذا..

- ماما.. أريد علبة ألوان جديدة.

تقول الأم في دهشة:

- كل يوم علبة ألوان جديدة؟

- القلم الأحمر انتهى، والبائع لا يعطيني إلا علبة كاملة.

- لديك بقية الألوان. أنت تعرفين.. بابا لا يملك نقوداً كثيرة ليشتري لكِ كل يوم علبة جديدة.

- ولكن أزهار شقائق النعمان حمراء.. كيف ألونها بالأصفر أو الأزرق؟

تشعر الأم أنها محاصرة، تبتسم:

- عندما أذهب إلى السوق سأشتري لك واحدة.. خذي تفاحة لتأكليها خلال الاستراحة.

- سآخذ اثنتين.. واحدة لي وواحدة لصديقتي. بالأمس قدّمت لي برتقالة. هي تحبني وأنا أحبها كثيراً.

تعانق الطفلة أمها. تقبل الأم العينين البنفسجيتين ثم تدفع الطفلة نحو الباب:

- هيا.. ستتأخرين إذا واصلت الثرثرة.

تهبط الطفلة عدة درجات من السلم ثم تتوقف.. تلوّح لأمها من جديد.

- لا تنسي علبة الأقلام الملوّنة.. سأرسم، عندما أعود، حقلاً يموج بأزهار شقائق النعمان.

- انتبهي وأنت تعبرين الشارع.

فجأة، تميد الأرض، تصطك الجدران، تتهاوى الأسقف، تنفرط النوافذ، تطير الأجساد ثم تتساقط على الأرض أشلاء.. الناس يركضون في كل اتجاه ليداروا أنفسهم أو ليلحقوا بأشلائهم!

في لحظة يُغتال الفرح من العيون.. تموت البسمات على الشفاه، والأيدي التي كانت تلوّح مودعة أو مرحّبة، تطير حمامات فزعة ثم تسقط مضرجة بالدم.

ليست هي القيامة.. الأموات مازالوا في أجداثهم لم ينسلوا منها. القمر لم ينشق. الجبال مازالت أطواداً راسخة وليست عهناً منفوشاً. الساعة ما أزفت بعد، ولكنه شيء مثل قيام الساعة.

ينطلق الخنزير البرّي من عقاله. يضرب بقرنيه في كل اتجاه.. وأنّى ضرب يمتزج التراب بالدم، بالأنين، بالعويل.. تغادر العيون محاجرها.. تشهق الشمس من هول ما ترى ومن هول ما تسمع، تظلّ الأرض تهتزّ، فيما

يتابع الخنزير الهائج ضرباته القوية، ويطلق من منخريه ناراً حارقة تصعد أعمدة إلى السماء.

ترقد العينان البنفسجيتان خلف ضماد كثيف، والجسد الذي كان يمور ويتدفق حياة يهمد على السرير ترعشه الحمى.

تنظر الأم في هلــع. تستجدي بارقــة أمــل من الأرض والجدران والأسقف، ثم ترتد أنظارها كسيرة توجع القلب.

يتندّى جبين الطفلة بعرق غزير.. تتمتم وهي تبحث عن أمها بيدها السليمة:

- ماما.. أين أنت؟

تجيب الأم مكابرة أوجاعها:

- أنا هنا يا حبيبتي..

تقول الطفلة:

- أريد أن أفيق.. الليل طويل وأنا أخاف من العتمة.

تلمس الأم شعر الطفلة الملبّد بالدم:

- نامي يا حبيبتي.. ليس هناك ما يخيف، ألا ترين أني إلى جانبك؟

تتهنه الطفلة:

- أحس أنك إلى جانبي ولكن لا أراك.. هل الكهرباء مقطوعة؟

تختنق الأم:

- إنها مقطوعة يا حبيبتي.. نامي الآن وسأوقظك عندما يجيء التيار.

تضرب الطفلة السرير بيدها:

- أخاف... أخاف أن أنام.. رأيته في حلمي.. كيف قلت لي إنه لا يوجد منه في بلادنا؟

- من هو؟

- الخنزير.. الخنزير البرّي.. رأيته بعيني.. كنت أعبر الشارع وفجأة هجم عليّ. ضربني بقرنيه ورماني على الأرض.. كان وجهه بشعاً جداً، فأغمضت عيني حتى لا أراه.. وعندما نمت رأيته في حلمي.

- نامي.. نامي يا حبيبتي وسترين حلماً جميلاً.

- والكهرباء؟.. هل ستظلّ مقطوعة؟

- لا.. إنهم يحاولون إصلاحها.. سيأتي النور بعد قليل.

يتندى الجبين بعرق غزير بارد. تغرق الطفلة في غيبوبتها من جديد.. وحده القلب ينبض.. ينبض.. ينبض.. يتحدّى الموت ولا يريد أن يتوقف.

* * *

عبدالله الوصالي

(السعودية)، نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

الطين والأسمنت

السكون يلف الحارة فالوقت فجراً.

وليس ثمة شيء سوى ظلال متعرجة لجدران الحارة الطينية ترتمي على الأرض كأشباح أرهقها العبث.

بيد أنك حين ترهف السمع فإن خشخشة خافتة تتنامى إلى سمعك صادرة عن محاولة قط مسن انتزاع ما يمكنه ابتلاعه من قطعة عظم ظفر بها.

في ذلك الوقت من كل يوم.. منذ سنين اعتاد

الخروج من بيته متجهاً إلى مسجد (الشيخ ياسين) في الطرف الخارجي من الحارة.

خطواته الوئيدة لم تكن لتشغل القط المسن عن محاولته فاكتفى بتحريك أذنيه تجاه الصوت مستمراً في محاولته الشاقة.

بعد أن صلى تحية المسجد أخذ يجول ببصره في أرجائه.. يكاد يعرف كل لبنة فيه.. تسلق ببصره إلى السقف ثم إلى تجويف القبة في وسطه.. لاتزال قوية شامخة رغم السنين الطويلة التي مرّت على بنائها.

تذكر يوم أتاه (الشيخ ياسين) طالباً منه إعادة بناء المسجد بعد أن تهدم بفعل الأمطار. يومها أراد الاعتذار لكونه من المدخنين، وأن هناك من هو أكثر منه خبرة في البناء، يومها أجابه الشيخ ياسين قائلاً:

لو علمت أن هناك من هو أمهر منك ما لجأت إليك، فهذا بيت الله.

أما التدخين فليكن أول يوم تترك التدخين فيه هو أول يوم تبدأ العمل في المسجد.

دائماً كان يجد الجواب المقنع عند (الشيخ ياسين) رحمه الله.

مرت 30 سنة على هذه الحادثة ولم يترك التدخين بفضلها فحسب بل أصبح مواظباً على الصلاة حتى لا يكاد يفوته فرض قط.

بعد انقضاء الصلاة أخذ يسبح الله بتحريك إصبعه الإبهام على فقرات الأصابع الأخرى.. أحس بخشونة ملمسها. نظر إلى باطن كفيه، كان لونهما يميل إلى السواد.. أيكون الأسمنت هو السبب؟!! لم يمض سوى أسابيع قليلة منذ بدأ يشتغل بالأسمنت على الرغم من أنه أمضى حياته بناء.

لاحظ عند خروجه من المسجد انبلاج النور. في طريقه إلى خارج الحارة ألقى نظرة على الجدران على جانبي الطريق أحس كأنه يراها للمرة الأولى. بعضها كان مهدماً بدت أعواد القش من خلاله وبعضها مرمم بشيء من الأسمنت.

* * *

في المساء وعند بداية الحارة توقفت سيارة صالون.. ترجل منها.. وفي طريقه إلى بيته رأى رجلين ليسا من أهل الحارة يتحدثان بالقرب من لوحة دقت بجدار

المسجد منذ أسبوع وعلى مبعدة منهما توقفت جرافة كبيرة تنفث دخاناً أسود وضجيجاً.

أخذ الضجيج يخفت ورائحة الدخان تقل حدتها كلما توغل إلى جوف الحارة. عند عتبة داره وجد القط المسن مسترخياً في كسل وإلى جانبه عظمة بيضاء صقيلة.

دخل.. أغلق الباب خلفه. كانت رائحة الدخان قد تلاشت لكن صوت الجرافة مايزال يطرق سمعه.

* * *

قراءة نقدية

عبدالله إبراهيم

الوعود والبدايات

- 1 -

فيما كنت أتابع المواهب القصصية الشابة التي تظهر بكثير من الإستحياء، ووسط مزيد من الصعاب الأولى التي تواجه كلّ من اختار السرد وسيلة للتعبير لفتت انتباهي قصة قصيرة نشرت في إحدى الصحف لقاص لم أقرأ له من قبل، وأرجّح أن قصته التي لفتت انتباهي هي من تجارب الكتابة الأولى، فمحرر الصفحة الثقافية في الجريدة التي نشرت القصة رماها في نهاية الصفحة التي يشرف عليها، واعتبرها لقاص من (الأصوات الشابة)

ويغلب أن تكون هذه الزوايا المهملة هي الأماكن التي تتبت فيها بذور المواهب الأدبية، إذا اُلتفت إليها، ونالت جانباً من اهتمام الباحثين. وقد وجدت من واجبي أن أقف وقفة قصيرة لقراءة هذه القصة في محاولة سريعة للنظر النقدي في بعض مظاهرها الفنية عسى أن يسهم ذلك في تنشيط الاهتمام بهذا القاص وغيره من الكتاب الشباب الذين يستحقون رعاية خاصة من قرّاء الأدب وناقديه، إلى ذلك فإن قصة (الطين والأسمنت) للقاص عبدالله الوصالي تكشف عن مهارة خاصة، ينبغي أن تؤخذ بالإعتبار. إنها مهارة التكثيف والاقتصاد في اللغة والحدث. وهذه المهارة هي السرّ في نشأة القصة القصيرة كنوع سردي في القرن التاسع عشر، وذلك تعبيراً عن الاحتجاج الصامت تجاه الروايات الطويلة التي تقوم على إسهاب لغوي، وتفصيل ممل للأحداث، كما هـو معروف وشائع في الروايـة الفرنسية، والروسية، والإنجليزية آنذاك. وعلى هذا فإننا نتصور؛ أن قصص الفرنسي موبسان، والأمريكي أدغار آلان بو، والروسي تشيخوف، هي التي – باعتمادها على تلك المهارة المشار إليها – قد وضعت الرواية أمام تحديات جديدة لم تكن مثارة من قبل، وقد أفضى كل ذلك فيما بعد إلى ظهور تقنيات السرد الحديثة، التي تهدف إلى

تخطي مشكلات البناء التقليدي الذي يقتضي الإسهاب في الوقائع والتصوير اللغوي المعبّر عنها. وذلك ما يمكن ملاحظته في روايات وليم فولكنر وفرجينا وولف وجيمس جويس. وهي روايات تقوم أساساً على نقض البناء التقليدي، وتستبدل به مجموعة من الأبنية الجديدة التي تقوم على تداخل الأزمنة ومستويات السرد والمنظورات وغير ذلك. وهذه المهارة أبرز ما يمكن ملاحظته في قصة عبدالله الوصالي إلى درجة جعلتها تبدو وكأنها قصة قصيرة جداً. والواقع فإن هذا النص المكثّف يختزن عناصر القصة بعمومها. وهو لا يهدف إلى مخادعة المتلقي لأن الحدث ينبثق بهدوء وقت الفجر، وسرعان ما ينساب السرد مع السحَر، ليكشف التعارض الحاصل بين زمنين: الأول يندفع من الماضي قبل ثلاثين سنة، والثاني يصور الحاضر الآن. في هذا الوقت الذي بمقدار ما يوصل بين زمنين هما الليل المنصرم والنهار القادم، فإنه يربط بينهما. والبطل المجهول الاسم الذي لا نعرف عنه شيئاً سوى كونه بنّاءً، يفضح بتأملاته الصامتة عالماً متناقضاً متصلاً بنظام مشبع بالقيم الروحية والمادية. وليس من الغريب أن يختار القاص المسجد مكاناً لأحداث قصته، ولا الفجر زمناً لتلك الأحداث، فهو بذلك يريد أن

يظهر التناقض بين مكانين وزمنين، العالم خارج المسجد والعالم داخله، والعالم في نهاية الليل والعالم في نهاية النهار. وتنتهي القصة بوقوف الجرّافة الكبيرة أمام المسجد العتيق لإزالته، فيما يمضي البطل إلى بيته بانتظار الليل. وهذا الإتجاه لمسار الأحداث يضع كل الأشياء في تعارض واضح، فالشخصية الرئيسة التي تتفجر ذكرياتها لحظة دخول المسجد، فتستعيد في لمحة سريعة ذكريات ثلاثين سنة، منذ أن قامت بترميم المسجد بالطين، تجد نفسها الآن وحيدة داخله، تتعبد في نوع من التضرّع، وتشارك المكان في تاريخه وذكرياته. فالمكان والشخصية يتصلان بعصر في طريقه للإنقضاء. ولا سبيل لردّ تلك النهاية المأساوية، وهنا يريد النص أن يبذر الإحساس بأن هنالك عالماً أليفاً ومشبعاً بالقيم والذكريات، لكنه مهدد بالزوال. ومهما حاولنا أن نوقف زحف الزمن الكاسح فلابد من نهاية لكل شيء. فالبنّاء الذي رمم بالطين جدران المسجد في زمن مضى، يصاب بخيبة أمل كبيرة حين يرى الجرّافة الكبيرة تربض متأهبة أمامه بانتظار الإنقضاض لإزالته من الوجود. ومع أن البنّاء لا يبدي معارضة واضحة لذلك العمل، إلاّ أن النص يشعر المتلقي بأنه يأسف على النهاية التي انتهى إليها المسجد، فذلك إنما يدلّ على أن عصر

البنّاء الطيني قد انتهى بما في ذلك القيم المتصلة به. وخلال مكوثه متخشّعاً تحت القبة، يتحسس البنّاء يديه، فيكتشف من خشونتهما، بأنهما قد تآكلتا بسبب الأسمنت، وهذه إشارة أخرى إلى أنه قد تحول بعمله من الطين إلى الأسمنت، ليواكب التطور، لكنه لمّا يزل يحنّ إلى المرحلة الطينية. وهذا هو المغزى الدلالي لعنوان القصة.

- 2 -

يستعين هذا النص القصير بأساليب سردية متنوعة؛ منها الوصف المشهدي المحايد الذي يختبىء فيه الراوي العليم، ويعرض أوصافه ومعلوماته (السكون يلفّ الحارة فالوقت فجراً. وليس ثمة شيء سوى ظلال متعرجة لجدران الحارة الطينية، ترتمي على الأرض كأشباح أرهقها العبث) لكن هذه الصيغة السردية التقليدية المحايدة تنتهي فجأة، وتحل مكانها صيغة أخرى تعتمد المخاطبة، وبذلك تبدأ الأحداث بالتطور. ثم سرعان ما تحل الصيغة التكرارية للسرد (في ذلك الوقت من كل يوم.. منذ سنين اعتاد الخروج من بيته... إلخ).

كان جيرار جنيت قد وصف هذه الصيغة السردية التكرارية، بأنها نوع من التواتر الذي يقدم فيه الراوي

رواية واحدة لما وقع مرات لانهائية (انظر: خطاب الحكاية ص 131) فالبطل ظلّ يتردد إلى المسجد طوال ثلاثين سنة، لكن الراوي يقدم كل ذلك في إشارة واحدة. على أنه ما أن تنتهي هذه الصيغة إلاّ وينتقل السرد إلى أسلوب المناجاة الداخلية، ليتكشف من خلاله موقف البطل من العالم الذي هو فيه.

وتقفل القصة بالسرد الموضوعي الذي تعتبر أداته ضمير الغائب. والملاحظة الجديرة بالإشارة هنا أن هذا النص المكثّف يستعين بأساليب سردية متنوعة، توظف بيسر بالغ في خدمة الحدث والشخصية. ولا يمكن الإنتهاء من هذه الوقفة التحليلية الموجزة لقصة (الطين والأسمنت) للقاص عبدالله الوصالي، دون الإشادة العامة بها، بوصفها نصاً قصصياً يعد صاحبه بالكثير، فهو يفتح (أفق انتظار) لنص أفضل، ولتطلّع أكبر.

* * *

عبد اللـــــه أبو هيـــــف

من مواليد 1949 (سورية). أصدر ثلاث مجموعات قصصية و16 كتاباً في الأدب والنقد. دكتوراه في العلوم اللغوية والأدبية (موسكو 1992)، ودكتوراه في النقد ونظرية الأدب (دمشق 1999). ترأس تحرير عدة دوريات أدبية مثل "الموقف الأدبي" و"الأسبوع الأدبي".

من يذكر أم قيس؟

كان سرب من اللقالق البيض يعبر بحيرة طبريا صاعداً أعلى قمم الجولان، وقد شكلت وردة مرفرفة تتفتح على خضرة السفح الأخضر المطل على الفضاء الفسيح، ونحن نمضي في طريق متعرجة إلى أم قيس.

كانت تتوضـــع بمهابة على حافة سهـــل واســـع. وتشرف على أرض الجليل العليا وممر نهر اليرموك إلى مرتفعات الجولان. وفي الخلف، تقبع آثار مدينة جادارا

القديمة المبنية من البازلت الأسود والكلس الأبيض. من إطلالتنا على خرائب أم قيس، كنا نشاهد في يومنا المشرق شق وادي الأردن الأخضر القاتم.

لم يكن يفصلنا عن بحيرة طبريا إلا حبل من عذاب يمتد طويلاً حتى يتلاشى في الفضاء الملبد بالغيوم وقد ذابت قمم الجولان في التحام زرقة المياه والغيوم البيضاء التي تمعن في دكنة تشي بهبوب ضباب رمادي، وقد غمرتنا رذاذات المطر. وقفت مدهوشاً، وقد ملت بكليتي إلى هذه القمم الشاهقة التي تلامس صفحة الماء. ولا يقع في منحدراتها الحادة إلا السفوح الداكنة من الأشجار الخضراء وبعض الصخور الناتئة، ثم تداهمني مشاعر طاغية متناقضة من المهابة والعجز والفقدان.

إنها للوعة حارقة أن أمني النفس زمناً طويلاً بزيارة فيق ولا أراها. كان صديقي يلهج بذكر قريته فيق دائماً. قبل الاحتلال بأقل من عام دعاني لقضاء العطلة الصيفية هناك. كان يتمتع بوصف مناخها اللطيف. ويصمت طويلاً ثم يتململ في جلسته، ويغادر موقعه وهو يتمتم: كأنك تقترب من الشمس، أو كأنك تجاور السماء.

مسافة قليلة وتصل إلى بحيرة طبريا. بين أعوام

وأخرى يهطل المطر غزيراً مدراراً حتى سميت السنوات المطيرة. يتهدج صوت صديقي: لم تعد السنوات الجافة مفاجأة مثلما أصبح الجولانيون يعرفون السنوات المطيرة. وقد اعتقدت في أوقات كثيرة أن الله حبا الجولان مناخاً لا نظير له في العالم. تكتنز الإشعاع الشمسي فتسري طاقة حيوية هائلة في حناياك. إنه مناخ بحري ما يلبث أن يعتدل في أوقات الندى الصيفي إثر هبوب الرياح الغربية على وجه الخصوص. وعلى أطراف أم قيس ماتزال لسعة هبوبها تسري في أطرافنا فنرتعش رعشة شفيفة، ونغمض أعيننا أمـــام المدى الفســيح. من غيابــه، يرتفع صـــوت صديقي، فها هي ذي فيق أمام مرمى البصر تقترب من ضفة طبريا الشمالية الشرقية. لقد أضحت فيق قابعة في وجداني مثلما هي في روع صديقي، فقد حل الصيف الموعود، وعز عليه وعلي أن نزور قريته. وكلما تجدد لقاؤنا يختنق بعبراته. غدا لاجئاً مايزال يحلم مثلي بعد ربع قرن من الزمن بزيارة قريته.

في أمسية دافئة أوغل في حديثه، يعب نسيم الذكريات، ثم قال بصوت يشبه البكاء: أنا مريض ولا شفاء لي إلا هناك. ويعود ولعه بقريته وبمناخها الفريد في

الفصول جميعها، فيبتهج وهو يعدد مزايا الطبيعة الفاتنة. أينما توجهت فثمة حراج تزيد كمية المياه التي تتلقاها الأرض بتأثير الضباب ثم تتكاثف على الأوراق. يتناغم المناخ البحري المعتدل مع اللسعات الحرارية السنوية. ويردد باقتناع وأسى خفي كأنَّه باحثٌ جغرافي: أليست سعة الحرارة أفضل منها في أي مكان آخر.

كانت هبة من ريح خفيفة تعبر، فتحرك الأشجار، بينما يتراكب ضباب هادىء على سطح بحيرة طبريا، ويعتم الطقس إلا من إشراقة بعيدة لشمس الجولان تغيب خلف سحابات مدهشة تمتزج رويداً رويداً مع الضباب الشفيف.

اخترقت الذكرى جوانحنا مثل نصل حاد. كنا ثلة أصحاب نطوف في خرائب أم قيس ومسرحها المدرج، ونتملى تلك الأحجار الهائلة المنحوتة بأشكال مختلفة للإستعمال البشري والفني. ومن المدهش أن كل حجرة تنطق بتمايزها، ولاسيما كراسي الملك والملكة وحاشيتهما الجميلة المعبرة خير تعبير عن سطوة السلطان ومهابته حتى أن بقية المقاعد على المدرجات قد أصابها كسر أو حفر أو خدش إلا هذه الكراسي الباقية.

راق لأحدنا أن يعابث كرسي الملك، وهو واسع ترتفع قاعدته قليلاً فيبدو شامخاً، وقد وضع على مرفقيه صور نسرين، وقد لاحظنا أن ثمة من حاول كسرهما دون جدوى، فظلت علامات التشوه المتعمدة تشي بمعان متناقضة في النفس. أما جدران الكراسي، ولاسيما مسند الظهر فحوت زخارف ورموزاً ممعنة في صلابتها. ولعل كثيرين قد حاولوا زحزحة هذا الكرسي، ولم يفلحوا فكأنه مزروع في الأرض.

جلس على الكرسي فبدا صغيراً على مقعده، فضحكت مرافقتنا بأسى وقالت: ربما احتجت إلى اللباس الفضفاض والأدوات الكثيرة الثمينة التي يلبسها الملوك، ثم سحبته ليستمع مثلنا إلى الحديث المتصل حول تاريخ أم قيس ومسرحها المدرج وبقايا معبدها... وحكامها.

ربما عاد تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام شديدة الحضور والعمران، فصمدت لغة الحجر ولغة الطبيعة إزاء الكوارث والنكبات.

"في الموت كما في الحياة تسود العظمة" هكذا تقول شاهدة على قبر أحد الموسرين، بينما كنا مازلنا نرى آثار عجلات المركبات على الأرصفة البازلتية المخصصة

للمشاة على ضفتي النهر. وفي هذا اليوم الخريفي، عبرنا بساتين الزيتون باتجاه البوابة الغربية لتشرئب أبصارنا نحو قمم الجولان الشاهقة.

وقفنا ملياً على الشرفات الحجرية الناتئة تحيط بها الأعمدة والتيجان، كان مؤسياً أن أنظر إلى ذلك التمثال الرخامي الأبيض لرمز المدينة "تيشي" دون رأس. غير أن رفيقتنا كانت تبتعد عنا لتطل من السفح إلى جبال الجولان الشامخة وبحيرة طبريا الوديعة. اقتربت منها، هززت كتفها، كان وجهها مغسولاً بالدموع ورذاذ المطر. رفعت نظارتها ومسحتها، وهي تهجس بالكلام متعسرة:

- كنت أزور جدتي كل صيف. لا أتذكر شيئاً عن يفاعتي أقوى من ضفة طبريا يطل عليها بيت جدتي. كان الطقس لطيفاً أنيساً يمتد ربيعه حتى الصيف. كانت ذاكرتي ملأى بقصص أخرى لاذعة عن طبريا. حكايات الأوبة المستمرة إلى الحمة أثناء الجندية وكأنها المغامرة الدافئة لحرية طاغية، وما يرافقها من احتساب العدو خلف الحدود المرمية أمام النظر القريب. حرقة استشهاد ابن العم حسن في معركة التوافيق، وكان شاباً يحدثنا، نحن أقرانه، عن الجبهة والبسالة والسباحة كل

يوم في طبريا.. وكلما أنعشته الأحاديث، يعب نقياً هو هواء الجولان، ويرفع عقيرته بالصوت وكأنه يغني:

- الجولان جنة. ولا يعرف صدق قولي إلا من يعيش فيها.

كنت صبياً، وقد تدفق حشد من العائلة والأقربين إلى فناء البيت الواسع، ليسمعوا أخبار ابن العم حسن الذي مضى على التحاقه بخدمة العلم أقل من عام، بينما العتمة تلف المكان. لم يكن بينهم من يقرأ أو يكتب الرسالة، وكانت جلبة كبيرة في مقبل سهرة شتائية، ولم يكن ابن العم قد حضر إلى مدينتنا الشمالية النائية عن الجبهة إلا مرة واحدة.

بدأت آنذاك لتوي أفك الحرف كما يقال، فقرأت لهم رسالته التي تقل عن صفحة تغلب عليها الديباجة المألوفة: سلام سليم أرق من النسيم، وأحلى من العافية على قلب السقيم، تركن وتروح من قلب مجروح إلى أعزاء القلب والروح.. ولم يكن ابن العم هو الذي كتب الرسالة، لأنه لا يقرأ ولا يكتب. وكان جمع مرات شباب الحي، ومنهم إخوتي الثلاث الكبار ليحدثهم عن بطولاته

وبطولات الجنود الآخرين الذين يكمنون على محرس فوق جسر طبريا. كانوا يرون الأعداء على مرمى نظرهم.

وغالباً ما كانوا يشاكسونهم ويخترقون الأراضي المحتلة لأسباب شتى. كنت أصغرهم ألوذ بجسم أخي الكبير، وأمتزج بذلك العالم الخاص الذي يمعن ابن العم في وصفه. وعندما انتهى من حديثه الأخير قبل مغادرتنا إلى الجبهة وعدته، كما طلب أن أجيب بنفسي على رسالته، وأن أنقل له أخبار الجميع الذي يسأل عنهم ويسألون عنه. كان يهز كتفي الصغير مبتسماً مشجعاً أن هناك من عائلته من يستطيع أن يكتب رسالة أو يقرأها.

توسطت الحشد أقرأ لهم رسالة ابن العم التي لم يقل فيها شيئاً سوى أنه بخير، ولا ينقصه إلا رؤية وجوه أحبابه، أو يوصي بتقبيل يدي أمه ووجنتيها، وكلما وصلت إلى هذه العبارة كانت أمه ترجوني أن أعاود قراءتها فينساب دمع غزير صامت على وجهها، وهي تلثم ورقة الرسالة، وحين انهمكت في كتابة جواب رسالته، لم أعرف أنها المرة الأخيرة التي أكتب إليه أو أراه، فقد قضى في إحدى المناوشات مع العدو.

مضت شهور قليلة على ذلك الجواب الذي عكفت

فيه على استرجاع كلماته عن الجولان وطبريا وذكريات مواجهة العدو أمام ناظريك. وانطبع في إدراكي المبكر هتافات وداع الشهيد، ثم توالت صور الشهداء الآخرين من عائلتنا وحينا ومدينتنا، وليس بمقدوري بعد أن أعرف هذا العالم الخاص المدهش الذي كونه ابن العم الشهيد للجولان وطبريا والحمة: اجتراح الشجاعة والتوق إلى فعلها. وصار من واجباتي أيام الجمعة والأعياد أن أصحو باكراً إلى المقبرة لأقرأ بعض سور القرآن على أرواحهم الطاهرة.

كانت وطأة الحال صعبة علينا. توزعنا على مقاعد تشرف على الفضاء الفسيح يمتد عبر الوادي المحتل إلى السفوح الجليلة تتحدر لتعانق ضفاف بحيرة طبريا. كان ثمة إناء على قوائم قد نصب أمامنا، ومنه طلعت ورود كثيرة ملونة. ثم ذهبت بي الخواطر بعيداً إلى أم قيس: هذا التاريخ الطويل من العمران الضارب الجذور.

سحبتني رفيقتنا من أنين عميق قاهر، وهي تقول:

- الجولان منيعة.

ولم تكمل حديثها المتهدج. كنا نطيل النظر إلى الأفق متوجعين حزانى.

* * *

مريم أبو رقبة

(فلسطين). نشرت قصصها في العديد من الصحف والمجلات العربية.

قبلة على الجبين

لم تتصور أن الحياة ستكون هكذا. حقاً إنها استراحت إلى فادي منذ أن رأته لأول مرة، وهو يأتي إليهم، بناء على ترشيح خالته، لكي يرتبط بواحدة من بنات "الأستاذ"، هكذا يلقبونه لوقاره وتدينه وطيبته، وكان هو قريباً من بعيد، سافر منذ عدة سنوات ليجرب حظه في بلاد الغربة، وقدّر له أن ينجح.. كانت هي التي من نصيبه، نظرت إليه يومها خلسة وهي تخفي اضطرابها،

ظلت طويلاً، وعلى الرغم من نظرات أمها القاسية، تلف إصبعها على أطراف خصلات شعرها، هذه الحركة التي تلازمها كلما انتابتها الحيرة، وحينما سألوها عن رأيها تمتمت بأنها لا تعرف، وأخفت فمها براحة يدها، وكان واضحاً أن ابتسامة عريضة تحت الكف.

كان طبيعياً أن تقبل، فـ (فادي) شاب لا بأس به، يعمل محاسباً براتب جيد لم يكن سينال ربعه هنا، وقد حصل على الـ (جرين كارد) ويوشك أن ينال الجنسية في ظرف سنة، وهذا كله يسهل المسألة، فضلاً عن أنه قريب من بعيد.

هناك بطبيعة الحال تضحيات، فقد كان عليها أن تنقطع عن دراستها، وتبعد عن البيت والأهل الذين تذكرهم الآن بشدة، ماما التي ما كانت تتركها تفعل شيئاً في أعمال البيت، وبابا، ما أطيبك يا بابا بوجهك الهادي وصوتك الرصين ومسبحتك التي لا تفارق يدك، ثم أختي مرمر أجمل بنات العائلة، وأسماء المدهشة الوديعة المنطوية بعض الشيء، وأخي اللذيذ برهومة والصغيرة المدهشة هدى، آخر العنقود وقمة الشقاوة، آه – يا ليتكم كنتم قريبين مني، ولكن أين أنا من برج البراجنة وطرمبة عثمان

وحارة حريك وكل الأماكن التي ألفتها؟غابت جميعاً ولم يعد أمامي إلا الخروج كل يوم للتجول في السوبر ماركت.

الحي الذي تسكن فيه زينب غاية في الجمال، يربض في جنوبي المدينة وسط الأشجار الممتدة، مشارفاً للغابة التي تغطي الأفق إلى أطراف البحيرة، وتصعد على التلال والجبال إلى ما لا نهاية. البيوت في غالبيتها بيضاء لا تزيد عن طابق أو طابقين تحيط بها حدائق لطيفة معتنى بها للغاية، وإنما أين البشر؟ آه، ترف على الذاكرة صورة مسجد الرسول الأعظم بمئذنته التي تكسوها الأنوار وسوق الخضار وعربات البطاطا والبندورة والموز والصيحات والزحام والشباب الواقف في الميادين والحيوية التي تمتد إلى منتصف الليل وهنا الحياة نائمة طيلة النهار، أما في الليل فإنها تكاد تكون ميتة.

لم يكن أمامها سوى البيج سوبر ماركت، سوق هائل مغطى أشبه بالكاراج، في كل يوم تكتشف فيه أشياء جديدة لم تكن قد رأتها قبلاً، تذهب إليه كل يوم تقريباً بعد أن تنتهي من عمل البيت، ومراجعة كل شيء، أصبح البيج سوبر ماركت أشبه ما يكون بمقر عملها الرسمي الذي تقلق لو تأخرت عنه في أحد الأيام، المشكلة أنها

قرأت كل الكتب التي أحضرتها معها، تمنت لو كانت قد أتت بالمزيد لكن الوزن لم يسمح بالمرة، في كل يوم تقف بالساعات أمام المرآة، تتأمل في وجهها الطفولي الباسم المستدير، تسرح شعرها الطويل، عشرات المرات، لا تخرج إلا والماكياج كما ينبغي، فادي يترك لها من النقود ما يسمح بشراء كل شيء، لكنه لا يعود إلا في المساء متعباً يريد أن يستريح أمام التلفزيون فلا ينظر إليها قليلاً. تمنت لو أنه يتغزل فيها، أن يقول لها أنها أجمل من الكنديات ذوات الشعر الأصفر المنطقي، إنها رشيقة للغاية مثلهن، لكنهن باهتات بلا حيوية، ملامحها هي دافئة وجذابة – أليس كذلك؟

لا جيران ولا أهل ولا أشياء تستحق الاهتمام من حولها، حتى التلفزيون لا يستهويها فإنها لا تفهم شيئاً من رطانتهم، ليس في البيت شرفة، معظم البيوت بلا شرفات، والنافذة لا تكشف إلا عن هذه البيوت الصامتة فهل يا ترى خلت من الأطفال، وإلا فأين الضجيج والصيحات التي تحدثها هدى وقريناتها في بيتهم ببرج البراجنة؟ وهؤلاء الكنديون فيما يبدو لا يزورون ولا يزارون. أم تراهم لا يلتقون إلا سراً؟ إذن ليس هناك بديل عن السوبر ماركت.

حقيقة إن المكان فسيح للغاية، لقد شيد في الساحة البعيدة خارج الضاحية، تمشي إليه قرابة نصف ساعة لا تمر بها إلا السيارات وإلا حفنة من راكبي الدراجات يسيرون في الطريق الرفيع المحاذي للرصيف، أحياناً يقول لها واحد أو واحدة من راكبيها: هاي، مصحوبة بابتسامة ثم لا شيء، أحياناً تحب أن تتحدث مع واحدة ممن يمرون بها، ولكن مرورهن يكون سريعاً، فضلاً عن تلك اللهجة المدغومة المبهمة التي يتحدثون بها، طريقتهم تختلف عن الطريقة التي كان يقرأ بها معلم الإنجليزية الدروس في مدرستها القديمة بالبرج، كانت متفوقة في الإنجليزية ومع ذلك فإنها لا تفهم الآن أي شيء، أليس غريباً؟

عربة المشتريات، كعادتها، بين ذراعيها تستند عليها وهي تتقدم ببطء، تبدأ بأرفف الأقلام والكراريس، لا تريد أن تنسى أنها كانت إلى عهد قريب تلميذة، هنا ألوان الدفاتر أحلى وكذلك الأقلام والأظرف والأوراق، تقف طويلاً أمام أدوات الماكياج، تمر مبهورة على أدوات الطبخ الكهربية: ماذا أفعل بها وهي التي تسوي الأكل في دقائق، أنا مشكلتي في الوقت الطويل الفارغ الممل الذي لا

أعرف كيف أمضيه؟ ثم إني أفضل هذا الوقت الذي أكرسه لعمل شيخ المحشى على هوادة، حتى الخلطبيطة التي يحبها حبيبي والتي أصنعها من خلطة سرية هي مزيج من البطاطا والبندورة والفلفل والجزر والبصل وأشياء أخرى أضعها هكذا فتمتزج على نار هادئة لساعة أو ساعتين مع الفروج والبهار والزيت والحامض.

حتى المدافىء الكهربائية لا أحبها، أتمنى لو يحضر لي فادي مدفئة بالفحم لكن لا سبيل لها هنا، كم أحبها وهي تتوهج، نارها أحمى ومنظرها أحلى، وما أبهاك يا أمي وأنت تشعلينها لنا وتظلين تنفخين بالمروحة الريش حولها حتى يحمر اللهب ويتحول الفحم إلى جمرات متألقة.

كانت زينب مستغرقة في المشاهدة بالسوبر ماركت عندما لمحت في آخر الممر طفلة أصغر قليلاً من أختها هدى تتسلق سلماً صغيراً مما يضعونه لرص البضائع على الأرفف، تمسك بعربة مشتريات صغيرة في محاولة للاستقرار بداخلها، رجل واحدة هي التي وصلت بينما ظلت الأخرى معلقة في الهواء، العربة تنزلق وتتحرك بطيئة في البداية ثم تزداد سرعتها، لم تفهم زينب

سبباً لهذا الاندفاع فلا أحد يحركها، (أين أمك أيتها الصغيرة المشاغبة لكن: أهذا وقت التساؤل، يجب أن أفعل شيئاً..) ترددت زينب برهة ثم وجدت نفسها تهرول في محاولة لإيقاف العربة الطائشة التي ضاعفت من اندفاعها ربما بسبب انحدار طفيف أو.. (ليس هذا، وقته، يجب أن أفعل شيئاً).

دارت بسرعة حتى واجهت العربة التي كانت تترنح في حركة لولبية لم يكن هناك حل سوى أن تقابلها بجسدها، لم تكن الصدمة عنيفة، لكنها شعرت بشيء من الألم في ركبتها، البنت الصغيرة انكفأت مرة واحدة ثم نهضت ليختل توازنها قبل أن يرتفع جسدها خارج العربة، أسرعت زينب تتلقفها بين يديها، لتهوي هي والبنت معاً مثل حرّاس المرمى حين يلتقطون الكرة!

وقتها علت صيحة مكتومة: أوه، توقف بعض الناس عن الهرولة، استدار عدد من رواد السوبر ماركت ليروا ما يحدث، نهضت زينب وهي تحاول، بما تعرف من كلمات، أن تشرح الموقف، اضطرت للإستعانة بيديها وأصابعها لكي تنقل الصورة للأم التي كانت تحدجها بنظرات مستريبة وتقول بحدة عبارات لم تستطع زينب أن تفهم منها شيئاً.

فجأة، ومن وسط الوجوه التي تتفحصها ببرود، تنفلت الطفلة من قبضة الأم لتجري نحو زينب، وزينب رغم الشعور بالمهانة والحنق تنسى كل شيء وهي تحتضن الطفلة الصغيرة وتطبع على جبينها قبلة حارة، سألتها - بلهجتها الفلسطينية - عن اسمها فغمغمت البنت بشيء، لكن الصوت الطفولي اللذيذ كان يقطر حباً، امتدت القبضة الخشنة للأم لتسحبها، إلا أن الذراع الصغيرة ظلت تشير على زينب وتلوح تجاهها بمحبة، ولوّحت لها زينب بدورها طويلاً، وهي تعجب لنفسها، إذ ترى البسمة تشرق على شفتيها بينما كانت عيناها مغرورقتين بالدموع.

* * *

حياة الرايس

من مواليد تونس (1954). شاعرة وكاتبة مسرحية. أصدرت مجموعة "ليت هندا" (1994).

طقوس سرية.... وجحيم

تسطع الشمس على النوافذ لكنها لا توقظ القلب... أيام ساكنات والأحلام لا تغادر ليلها، تطل كل صباح برؤوسها من جحورها ثم تتراجع أمام صراخ الأطفال، تبديل الحفاظات، تحضير الرضّاعات، صفير الطناجر، بعثرة حذاء الزوج والجوارب.............

تعود الأحلام خائبة إلى أوكارها:

هذه امرأة لم نعد نعرفها...

"وهذا بيت غريب عنّا، لم يعد يحفل بنا، بيت لا يشرع أبوابه للريح ولا يخضّر به شجر".

تستيقظ المدينة على أصوات باعتها. أبواق سياراتها وصفيق أبوابها...... ولكن شيئاً كابياً في النفس يغلب عليه النعاس. تتحامل مريم على نفسها تأخذ ابنها البكر الذي بدأ يجرّب المشي، تنزل به إلى السوق وتترك الرضيع نائماً بالبيت.

ترمي نفسها وسط حشود الناس وجموع المشترين وعربات الباعة المتجوّلين لتبلغ السوق.

ينكفىء طقسها السري القديم على نفسه، ينفر، يهرب، يتوارى ويومىء لها من بعيد أن اتبعيني..... تهمّ بالخروج، يصرخ الطفل أن احمليني. تتباطأ الأرجل. تثقل القفة، تتذكر ابنها النائم وحده بالبيت فتسرع خطوها. تزداد الهرولة بين السوق والبيت يوماً بعد يوم:

- " كل أيّامك مهدورات".

يصرخ الحلم المحبط.

يهمس الطقس السرّي القديم:

- "متى سنعود إلى سالف عهدنا؟

- متى سنمارس جنوننا، وطفولتنا؟

- متى سنعيش إبداعياً على الأرض؟."

يميل الظل يطفيء وهج الشارع، تتذكر مريم موعد الغداء وعودة الزوج تسرع أكثر.

تستوقفها فجأة يد... لم تلمسها منذ أربع سنوات.

- "صباح الخير يا مدام"

- "الدكتور جعفر العلاّق مرحباً كيف حالك؟"

- "كيف حالك أنت؟ منذ تخرجت من الكلية لم أرك، ولم أسمع أخبارك. سوى أنك تزوجت من أحد المعجبين بشعرك أيام الجامعة".

- نعم تزوجت وأنجبت.

- ينظر إلى ابنها: صار لك ابن ما شاء الله.

- بل ابنان، الآخر بالبيت.

- والشعر؟

تبلع غُصتها. الشعر صار كالأمر السرّي رائحته من رائحة المنكر...

يلاحقها الدكتور بأسئلته:

- "ما لك صمتّ؟ أين هو الشعر من حياتك؟"

- تركته لقد أصبح مشروعاً مؤجلاً ينتظر أن يكبر الأطفال!

يبدي الدكتور استغراباً:

- ما علاقة الشعر بالأطفال؟ أوهكذا أنتن "النسوان" لا تنتظرن من الدنيا سوى عريس ما إن تجدنه، حتى تقبرن مواهبكن وتسقطن العالم من حولكنّ.

مضى الدكتور إلى حاله ومضت مريم إلى البيت. كأنها تعتّبه لأوّل مرّة، وكأنما يستقبل امرأة غيرها.

كلمات الدكتور تسبقها إلى أركانه، تخلخلها، تتحني على سرير ابنها تتفقّده، صراخه يختلط بصراخات أخرى خرساء في داخلها...

- أشياء البيت توتّرها، تعثّرها، تبعثرها. فوضاه تؤجّجها كجمرة خامدة تحت الرماد هبّت عليها رياح شتوية.

تركض بساعات النهار نحو ليل لن يأتي هذه الليلة كما يأتي كل ليلة.

... تمتد يد زوجها تمسح... طولاً وعرضاً فلا تأخذ طريقها كالعادة إلى منعرجاته ومنزلقاته.

يستعصي الجسد. تتلقّى اليد أولى خيباتها.

ترسم مغتاظة علامات استفهامها.

بينما كلمات الدكتور جعفر العلاّق تدب تحت الجلد دبيب الدود في العفن "والشعر؟........ أين هو الشعر من حياتك؟... هكذا أنتن النسوان.... لا تنتظرن من الدنيا سوى عريس!"

تمضي اليد متوسّلة حيناً معنفة حيناً آخر. لا يزداد الجسد إلا تخشباً، تتوتر اليد تشدّ بعنف، بينما الدماء تجري بنيران جديدة لا تطالها اليد التي تعبث قليلاً، تتسكّع على سطح الجسد ثم يغلب عليها النعاس فتسقط هاجعة.

وفي انعكاسات نور متقاطع متكسّر على أجساد لم تعد تركن لبعضها تسمع شخيره فيهدأ روعها. يرتخي جسدها.

تمسك قلماً وتنتشر من جديد بين البياض.

تقبل عليها أحلامها كما يقبل الفلاّح على النهر.

تستعيد طقسها السرّي القديم.

تفيض النفس بما يتزاحم فيها...

يلين الجسد كغصن ريّان يورق من جديد.

فجأة ينقطع الشخير.

تعود اليد آلياً تجوس بين الوريقات اليانعة:

- ماذا أصابك منذ قليل؟

- اتركني رجاء، أريد أن أكتب.

- اكتبي في أوقات الفراغ.

- هذا الليل لي...

- واجبك كزوجة إن لم تؤده أول الليل لا يسقط عنك آخر الليل...

- أوف "صالح" يكفي المزاح!

- أنا لا أمزح... ليس الوقت وقت كتابة.

- بالروح قصيدة معلقة...

- سأكتفي بالجسد وأترك الروح للقصيدة. تعالي...

تمسّها ريح جنونية: تهبّ واقفة كشجرة تهرب من فأس حطاب يريد شقها شطرين لتواجه معزولة العاصفة!

لم تخلع "مريم" قميص نومها تلك الليلة ولكنّها كانت كشجرة خريف تسقط عنها أوراقها شيئاً فشيئاً...

لم يعد هناك ما يدعو للتستّر على الحلم...

يكسوها العناد ويغلّفها درع من دروع تلك الحروب القديمة المندلعة بين الحياة والموت. تلملم أوراقها وتخرج كأنها تهرّب حشيشاً أو مخدرات، ترافقها ظلال سوداء حتى قاعة الجلوس، التي وجدتها باردة...

تجرّها رجلاها إلى المطبخ، المكان الوحيد الذي يحتفظ بحرارته وروائحه في هذا البيت. أعدّت قهوة تركية سبقتها رائحتها إلى الصالون. أغلقت بابه على نفسها.

اعتذرت للبياض الذي كان ينتظرها. وكعاشق صبّ يعود إلى حبيبه بعد طول جفاء، عانقت الحروف بعضها.

على هذه المساحة البيضاء سيحدث النصر.

سيأخذ المداد لون العناد.

عاد الليل إلى طقوسه وعادت الحروف إلى الورق. كما تعود الطيور المهاجرة إلى أوطانها وامتلأت سماؤها بأسراب السنونو والخطاف، وانفتحت في الكون

سماوات جديدة وبدأت المشاعر تعيد ترتيب العالم من جديد وتهييء النفس لعمر المداد.

انخلع الباب. انتصبت على العتبة قامة رجل كانت تعرفه!. لكنه بدا لها الليلة كقاطع طريق منزوع من سلاحه. لا يزيّنه سيفه، بدا لها بشعاً مترهلاً أكثر من العادة، تقدم نحوها كالحيوان الجريح:

- أتدرين ما يسمّى ما فعلته الآن؟

- أنا لا أعرف إلا شيئاً واحداً هو أني في حالة كتابة.....

- أنت في حالة نشوز. أنت ناشز.

- فليكن!

- أنسيت أنك زوجة، وعليك واجبات.

- اتركني رجاء!

- أنا لا أفعل سوى المطالبة بحقوقي.

هو أيضاً عنيد والمسألة بالنسبة إليه مسألة حياة أو موت.

انحنى عليها وقد خلت أنفاسه من كل حرارة وأفرغت حركاته من كل إغراء!.

دفعته بمرفقها فشدّها بعنف.

نظرت الزوجة في البيت فبدا لها غُباراً ثائراً وقد قُوضت أركانه.

هبّت ريح في داخلها، تُبعثرها بين الخضوع والتمرد. فكّرت بابنيها النائمين في الغرفة الأخرى.

استيقظت فيها امرأة راقدة من غابر الأزمنة. تحرّضها:

"إن أنت استسلمت فسأغادرك إلى الأبد".

تدخل صوت أمّها من تحت سابع لحد.

- "يا ابنتي المرأة ليس لها سوى زوجها وأولادها".

جاء صوت القلم:

"أنا الذي أخرجتك من القطيع فلا تعودي لعصا الراعي".

لا تردي أي شيطان آخر دخل بصوته على الخط:

"لا تكبّري المسائل ولا تخربي بيتك بيديك، تعرفين زوجك عنيد ولا ينام مهزوماً أبداً وتعرفين كيف ينتقم وقد هدّدك سابقاً بالطلاق".

- لم يكن "صالح" يمهلها التفكير أو الاختيار فقد كان يتوعّد ويهدّد يهتزّ... وينتفض حتى همد.

ثم تركها وخرج عند الباب. التفت إليها قائلاً:

- "بإمكانك أن تكتبي الآن....."

قامت إلى "الدش" تفتحه أطالت الوقوف تحته ساعات والماء يغمرها ولا يغسلها. عندما خرجت من الحمام لم تجده.

كان "صالح" يصول ويجول بين طلبته في الجامعة ويلقي عليهم كالعادة محاضراته عن الحرّيات وحقوق الإنسان.

* * *

إصدارات قصصية

تهدف هذه الزاوية إلى التعريف بالإنتاج المطبوع للقصة القصيرة في الجزيرة العربية من أجل التوثيق وتسهيل الوصول إلى مصادر نشره وتوزيعه. ففي كل عدد من **الراوي** سنحاول أن نقدم ببليوغرافيا عن عدد معين من المجموعات القصصية. ولذلك فإننا نهيب بالأخوة مبدعي هذه الجزيرة أن يرفدوا مكتبة **الراوي** بما لديهم من مجاميع قصصية حتى نساعد على تكريس الاهتمام المتزايد بالإبداع القصصي.



عبدالعزيز الصقعبي - السعودية

* أنت النار وأنا الفراشة

دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2000م.



فالح العنزي - السعودية

* البارقة

مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لندن ، 1999م.



إبـــراهيم مـــبارك - الإمارات

* اتحـــاد كـــتّاب وأدباء الإمـــارات، الشـــارقة 1999م.



شـــيخة الناضـــي - الإمارات

* رياح الشمال

اتحـــاد كـــتاب وأدباء الشارقة، 1999م.



أسـماء الـزرعوني - الإمارات

* همس الشواطىء

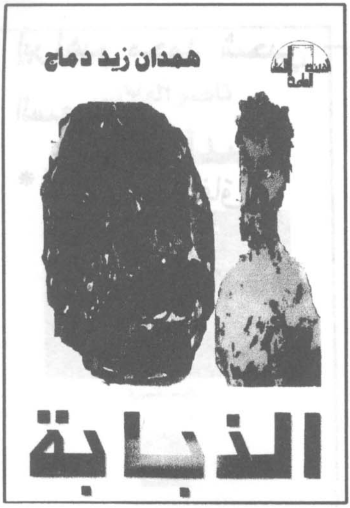
الشارقة ، 1995م.



محمـد اليحيـائي - السعودية

* يوم نفضت خزينة الغبار عن منامتها

دار الفارابي - بيروت ، 1998م.



همدان دماج – اليمن

* الذبابة

الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 1999م



وجدي الأهدل – اليمن

* صورة البطّال

دار أزمنة، عمّان، 1998م.



إبراهيم محمد شحبي – السعودية

* ما وراء الأنفاق

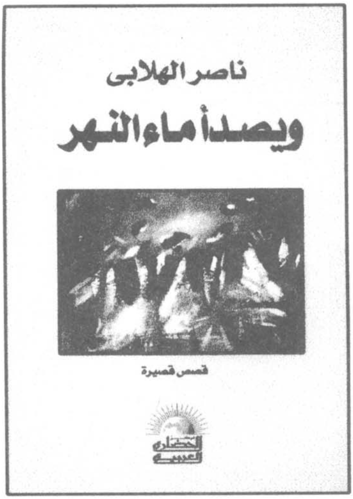
أبها، 1420هـ.



هيام المفلح – اليمن

* الكتابة بحروف مسروقة

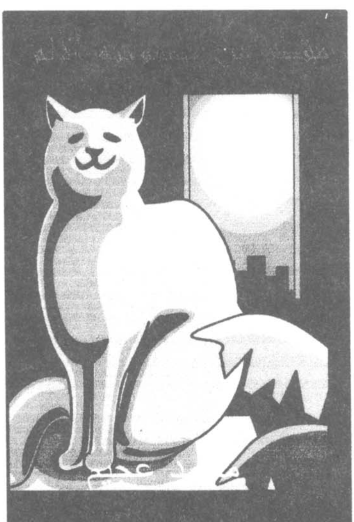
الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، 1998م.



ناصـــر الهلابــــي - السعودية

* ويصدأ ماء النهر

مركـــز الحضـــارة العـــربية، القاهـــرة، 2000م.



محمــد يحيى عجيم - السعودية

* مقطـــع مـــن سيمفونية الألم

جدة، 1420هـ.